المحطة الأخيرة
(حكايات وقصص قصيرة)
محمد المنصور الشقحاء
محمد المنصور الشقحاء
المحطة الأخيرة
دار نشر رقمنة الكتاب العربي - ستوكهولم
مجموعة قصص قصيرة تتحدث عن
العلاقات الإنسانية بين الثنائيات
القائمة فى الحياة
تصميم الغلاف: يارا السباعي
ISBN 978-91-89288-03-4
دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

المحطة الأخيرة

حكايات وقصص قصيرة

محمد المنصور الشقحاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: المحطة الأخيرة
المؤلف: محمد المنصور الشقحاء
تصميم الغلاف: ياره سباعي
الطبعة الثانية 2021
ISBN: 978-91-89288-03-4
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 53-20 05-01-2021
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، فاستراء جوتالند
هاتف: 0046790185518
البريد الإلكتروني:
digitizethearabicbook.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى

السجن

بعد لقاء أدبي في المركز الثقافي ومن خلال اهتمامي الشخصي وصلتي بمدير المركز شاركت في الحوار الذي جاء عقب اللقاء في مكان يلتف فيه ثلة من المثقفين في مقهى الربيع، وفي الثالثة صباحاً أوصلت أحد ضيوف اللقاء إلى الفندق.

أثناء عودتي كان رجال الشرطة قد أقاموا متاريسهم عند دوار زهرة البنفسج، تفحصني رجل الشرطة وآخر بملابس مدنية، وعندما هممت بالتجاوز سمعت نداء

يطالبني بالوقوف ..

فتح الرجل ذو الملابس المدنية الباب الخلفي وأخرج حقيبة يد من على المقعد الخلفي..

طلب فتحها. اعتذرت لأنها لا تخصني وإنما هي لرجل أوصلته الفندق غير أنه أصر على فتحها وقام بكسر القفل.

تم حجزي، وفي الصباح تمت إحالتي إلى السجن وبعد أشهر صدر حكم القاضي الشرعي بسجني عشر سنوات.

في السنة الأولى فصلت من وظيفتي كمعلم للغة الإنجليزية، وفى العام الثاني توفيت والدتي، وفيه طلبت زوجتي الطلاق بعد أن أنجبت ابننا الثاني.

وفي العام الثالث حرم أبي على إخواني ذكر اسمي في الدار، وتزوج أخي الأكبر زوجتي وبعد ذلك اختفت أخبار أسرتي.

لما تغير مدير السجن طلب المدير الجديد مني العمل في قسم الإرشاد ضمن

المدرسة التي فتحها لتدريس المسجونين، وحفظت أجزاء من القرآن الكريم.

في نهاية العام الثامن خرجت٠ لا أعرف أين أذهب مع شهادة إبراء ذمة وحسن سلوك من إدارة السجن ومبلغ من المال لقاء عملي وجائزة حفظ أجزاء من القرآن الكريم.

كانت الساعة الثانية بعد الظهر فضلت المشي فاخترقت شوارع الطائف، مررت بجوار المدرسة التي كنت أعمل بها، ودخلت السوق ٠٠أكثر المحلات مغلقة ورائحة الآكل في المطاعم تشعرني بالجوع، ارتفع أذان العصر فدخلت لأداء الصلاة٠٠

تناولت بعض الأكل وتجرعت كوباً من الشاي.

اتجهت إلى موقف السيارات، كنت أغادر الطائف في طريقي إلى جدة متذكرا البحر وأيام دراستي الجامعية.

بعد أسبوع زرت مدرسة تعليم قيادة السيارات، قدمت للمسئول عن المدرسة رخصتي الخاصة و المنتهية وشرحت أمري وحاجتي لرخصة قيادة عامة٠ تعاطف معي، فكان أن اجتزت الاختبار وحصلت على الرخصة.

قمت بزيارة فرع البنك الذي يوجد لي حساب في أحد فروعه، ودخلت على المدير٠٠ زودته برقم حسابي القديم فكان به ثلاثون ألف ريال وبعض الهللات وطلبت منه إضافة جزء مما حصلت عليه ونقل حسابي إلى الفرع حتى يكون قريباً مني.

استأجرت منزلا شعبيا في أحد الأحياء الفقيرة التي اختلطت جنسيات سكانها ثم اشتريت سيارة أجرة.

حصلت على أول أجر من (مشوار) إلى المطار، اعتدت ذلك، كنت أشغل وقتي بقراءة الصحف وبعض الكتب التي أجدها في طريقي.

تعرفت على إمام مسجد الحي الضرير وطلب مني مساعدة ابنه في درس الإنجليزي،

صاحب المنزل الذي أقيم فيه وهو رجل شرطة طلب مني إيصال بناته إلى المدرسة بأجر ساهم في إيجار المنزل.

إمام المسجد الضرير يقوم بتدريس مادة القراءات في كلية المعلمين وله زوجة أخرى معلمة٠

من كشك الصحف و الكتب في المطار حصلت على كتاب تذكرت صاحبه عندما صافحتني صورته، كان صاحب الشنطة وسنوات السجن.

طلب الإمام الضرير إيصاله لمنزل زوجته الثانية لأن السائق ذهب بزوجته الأولى إلى السوق وتأخر.

في الطريق ذكر أن زوجته الثانية كانت طالبة عندما كان يدرس القرآن الكريم في ثانوية البنات.

تصفحت الكتاب وأخذت أتذكر أيام اهتمامي بالثقافة والعمل وزوجتي وأسرتي وتخيلت ابني أسامه و الأخر الذي لا أعرف اسمه الآن.

زارتني حوادث و صور في منامي، استعذت بالله من الشيطان وأنا في طريقي لتأدية صلاة الفجر، صلى بنا المؤذن٠ عرفت أن الإمام متوعك في منزله.

في العاشرة صباحاً كنت أقرع الباب، وجاء صوته مرحباً.

أخذت الصحيفة التي اعتدت قراءتها من إحدى البقالات وأنا في طريقي للمنزل جاءت صورة الكاتب الذي لم أنسه تتوج مقالا طويلا عن المجتمع.

في ساعة متأخرة من الليل جاء صوت زوجة إمام المسجد ترجوني الحضور لنقل زوجها للمشفى٠ انتظرت فحصه في قسم الإسعاف و تزويده بالعلاج.

كانت سافرة الوجه تجلس في مقعد السيارة الخلفي، أنفاسها تلفحني.

دعاني الشرطي لحفل عشاء أقامه بمناسبة ترقيته، وجدت في الحضور الكاتب٠ لم يعرفني عرفت أن الكاتب متزوج أخت الشرطي، وأنه مسئول كبير في إدارة هامة. أشعرته باني أقرأ كتابه الجديد.

عاد الإمام للمسجد وحركته، في تجوالي المعتاد وكتاب جديد على المقعد بجواري داخل السيارة٠ حملت امرأتين وطفلا في الثامنة من إحدى الشوارع وتحركت، وقع الكتاب بين أقدام الطفل انحني وحمله، هم بوضعه على مقدمة السيارة وهو يلتفت نحو المرأتين لسماع إرشاد هما لي حتى أعرف الطريق٠ أخذت إحداهن الكتاب من بين يدي الطفل وأخذت

تقلب الصفحات، وصلت إلى العنوان وترجلتا، نقدني الطفل أجرتي ٠افتقدت الكتاب. وأخذت

اضحك ..

اتجهت إلى مقهى في خارج المدينة مع بعض الصحف طالعت نتائج اختبارات نقل الطلاب في بعض المدارس شيء شدني إلى قراءة أسماء إحدى مدارس الطائف كان أبني أسامة، انحدرت دمعة وتلافيت رغبة في البكاء.

اشتريت أرضا وقدمت أوراقها للبنك العقاري وتمكنت بعد أشهر من التعاقد مع مؤسسة بناء بعد حصولي على قرض من البنك الذي فيه حسابي برهن الأرض وقيمة القرض العقاري.

أنجزت العمارة بهدوء من دورين كل دور سكن خاص.

أقام أحد الجيران حفل عشاء حضره الشرطي والكاتب، بعد العشاء اتجهت إلى مقهى خارج المدينة.

التحقت بشركة معدات كموظف، لم أترك سيارة الأجرة، باح لي الإمام الضرير بأنه طلق زوجته المدرسة لأنها لا تنجب، قلت ضاحكاً أني ابحث عن زوجة لا تنجب.

بعد أيام ابلغني بموافقة أسرة زوجته المطلقة على خطوبتي٠

طلبت مقابلتها٠ تحمل مسحة من الجمال و الحزن أخبرتها عبر الهاتف بتاريخي وجدتها ترحب بي، وفى حفل مبسط تزوجت.

بعد أشهر طلبت مني البحث عن أسرتي وأمام ترددي أغرتني برحلة نهاية الأسبوع إلى الطائف٠

أصرت على أن أدخل الشارع الذي به منزلنا القديم وجدنا في الشارع خيمة منصوبة وكراسي مصفوفة فتحت زجاج النافذة٠ سألت أحد الأطفال عن الخيمة٠ فإذا بها مجلس عزاء لوفاة والدي، طلبت مني إيقاف العربة والنزول٠ أمسكت بيدي٠٠ سالت الأطفال عن مكان عزاء النساء دخلنا المنزل القديم أخذت تصفق، خرجت امرأة ما أن لمحتها حتى

عرفت أنها أختي٠ رفعت زوجتي الغطاء عن وجهها تقدمت منها ضمتها إلى صدرها معزية.

انكبت أختي على كفي تقبلها وهي تبكي وخرج أخي الأكبر من غرفة الجلوس على الضجة، أسرع ألي اخذ يبكي وهو يحتضنني أخذت أختي زوجتي إلى غرفة النساء وجاء أخي الآخر.

وأنا أدخل غرفة الجلوس حيث يجلس مجموعة من الأطفال و الشباب تلفت أتفحص الوجوه، اقتربت من فتى في السادسة عشرة وأخذت أحدق فيه، همست: أنت أسامة؟، هز رأسه،

قال أخي الأكبر: هذا أبوك لثم أسامة كفي، وجاء من طرف الغرفة فتى يصغره كان عبد الرحمن ابني الذي لا أعرفه..

أخذنا نتحدث عن الأسرة وعن أخباري٠ كنا نتوقف عند تاريخ دخولي السجن مستعيدين ذكريات الطفولة، عرفت أن أسامة وعبد الرحمن من خلال عدم ذكر اسمي بين الأسرة ظنا أني ميت٠

بعد يومين من الذكريات، أخذت زوجتي إلى افخر فندق في المدينة٠ بعيداً عن الناس أخذت تحدثني عن أسرتي والمصادفة التي حدثت.

عدت لعملي وعادت زوجتي لعملها.

الشرطي دعاني وزوجتي لعشاء خاص تحدثت عن قصتي مع السجن وحياة أسرتي٠

الكاتب حدق في وهو يرتعش، خرج دون أن ينبس بكلمة، الإمام الضرير أخذ يعلق على تجربتي، بعض الجيران اللذين كنت التقي بهم في المسجد حمدوا صبري ٠

بعد انتهاء العشاء أخذت زوجتي إلى البحر جلسنا على أحد الكراسي نتابع زبد الموج عبر ما يصل من ضوء الأعمدة الممتدة على طول (الكورنيش)٠٠ من خلال الصمت تخللت أناملها أصابعي شعرت بالحياة تسري في داخلي وينبثق عبر البحر نور يرتفع إلى السماء،

من خلاله أخذت أتأمل وجه زوجتي ٠٠ شيء فيها يشرق، وقطعت تأملي بالتفاتها نحوي وهي تضحك.

قال التنين: (لكثرة مآرب الأنس وفنون تصاريفهم في أمورهم واختلاف أحوالهم ، احتاجوا إلى كثرة الملوك) أخذت تشغل وقتها بالجلوس أمام التلفاز تتابع البرامج العلمية والثقافية تعوض أميتها .

قال التنين: (ولكن أرى السلحفاة تصلح لهذا الأمر لأنها تصبر عن الماء وترعى في البر وتعيش في البحر وتتنفس في الهواء).

كان طلاقها من زوجها الأول مصدر خلاف مع والدها الذي رفض كل الوساطة فتركت ولديها عند أسرة زوجها.

قال التنين: (أما تسمعون شكاية هذه البهائم والأنعام وما يصفن من جور بني آدم عليها وظلمهم وتعديهم عليها وقلة رحمتهم) .

وجاء زواجها الثاني لتكون زوجة ثانية٠ قالت والدتها: انه ابن عمك جاء لسترك٠ كان الأول أيضا

ابن عم

قال الدب: (أن في السباع أخيارا و أشرارا وأن الأشرار لا تأكل إلا الناس الأشرار).

من خلال الزوج الثاني توسعت ارتباطاتها الاجتماعية والأسرية وزادت مسئوليتها بعد مرض الزوجة الأولى، ودخل في المسئولية (راجي) شقيق المريضة الأصغر فني أشعة بالمستشفى العام٠ جاء(راجي) مقتحماً أسواراً وهمية ـ تراكمت مع الأيام ـ حتى لم يبق لها مكان.

جاءت المواجهة الأولى في غرفته بالمستشفى كانت مع فاطمة وسائقها دفعها إلى ذلك زوجها للوقوف مع زوجة زميل وصديق٠ كانت غرفة (راجي) تعج بالمراجعين نساء ورجالا، أخذهم إلى غرفة جانبية وما إن جلست فاطمة حتى نزعت غطاء وجهها فسايرتها٠ الحديث كان متقطعاً جاءت الممرضة وأخذت فاطمة إلى غرفة الأشعة .

كان (راجي) لطيف في الحديث حزيناً على حالة شقيقته المريضة.

قال البوم: (بنو أدم أكثر الحيوانات عدداً وأجناساً وأنواعاً وأشخاصاً).

ذات مساء جاء (راجي) محملاً بنتائج الأشعة، طلب منها إبلاغ صديقتها بالموعد الجديد، كانت أنفاسه تلهب وجهها وصوته يثير الرعشة في أطرافها، لحقت به وهو يغادر غرفة شقيقته٠ نزعت الغطاء عن وجهها تأملها وهي تشرح معاناتها أمام الباب الخارجي للشقة٠

قال القرد (إن كان الأمر هناك يمشى بالخيلاء والمحاكاة واللعب واللهو والرقص عند ضرب الدف والطبول فأنا لها).

أسرعت إلى الهاتف، تبلغ فاطمة بنتائج الأشعة والموعد الجديد، لمست منها إعجابها براجي، أخذت تضحك .

دعاهم (راجي) للعشاء في مطعم للأكلات الأجنبية، لم يطل بثلاثتهم المقام في العودة، لم تتوقف فاطمة عن إبداء إعجابها.

قال التنين: (أن ملوك بني آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويعظمونها ويحملونها على أيديهم ويمسحونها بأكمامهم).

قالت فاطمة والاثنتان في حفل زفاف صديقة مشتركة: هل تم نقل راجي من مكتبه، تبسمت، عرفت أن (راجي) زرع في طريق فاطمة أحد موظفيه.

قالت فاطمة: جاءت ممرضة لعمل أشعة جديدة فلم تـتقن عملهـا وبحثـت عن

(راجي) فلم أجده، هناك آخر سيطر على الأمـر، وأخـذ الأشـعة، لا أدري كيف وافقت.

تبسمت كان الآخر ابنها من زوجها الأول، جاء يعمل في وقت الصيف.

قالت فاطمة: عرف رقم هاتفي، أتصل منـذ دقـائق يخـبرني بالموعـد الجديـد لمراجعة الطبيب٠ أقبلت أخرى وجلست بين الاثنتين، أختلط الحفل.

قال الدب: (الخنزير ليس من الأنعام بل هو من السباع ألا ترى أن لـه أنيابـا ويأكل الجيف).

عندما عادت أخر الليل، كانت حقيبة يد فاطمة في صالة الجلـوس وزوجهـا ممدد في فراشه، ابنها في غرفة الضيوف نائم بملابسة الداخلية٠ أخذت تقلب محتويات الحقيبة، لم يكن بها سوى قلم أحمـر الشـفاه، وعلبـة بـودرة صـغيرة للوجه، ومناديل جيب ورقية، وألفي ريال فئات مختلفة أخذت ألفا، أغلقت الحقيبة وتركتها في مكان بارز، غيرت ملابسها وتمددت في الفراش .

قال التنين (وانصرفت الجن من هناك خجلين منكسـين رؤوسـهم وغوغـاء الأنس يطقطقون في أثرهم) .

قالت فاطمة عبر الهاتف: نسـيت حقيبتـي في حفـل البارحـة، لا أدري مـاذا حدث.

قالت لها: مؤكد فقدت شعورك حتى إني افتقدتك أثناء العشاء.

قالت فاطمة: من أحاديث مريم ومنال لولا حضـور زوج منـال لكـان أمـر، تصدقين أن مريم دعتني للجلوس وحدنا، فجأة نزلت علينا صديقة لمريم٠

قالت: لابد أنك نسيت حقيبتك في المكان الذي أخذتك إليه مريم٠

قالت فاطمة: هذه مصيبة وأغلقت السماعة .

قالت الخرشة (ثم أن البواشق والشواهين تصطاد العصافير والقبابر)

قال ابن عرس: (إن كان الأمر يمشى باللصوصية والتجسس والاختفاء والسرقة فأنا لها).

قالت أم عريط: (لقد كان عباس على قدر الطموح إذ استطاع إشراك أحد أصدقائه تلك الليلة)

قالت فاطمة: لقد وجدت الحقيبة لكن الفلوس ناقصة، كانت الاثنتان مع أطفالهن يفترشن الأرض في منتزه الردف، تناثر الأولاد والبنات بين المراجيح وبائعي المثلجات.

قامت فاطمة، سحبتها من يدها في جولة على أطراف المنتزه جاءت فاطمة أطول وأرشق، رغم كبر سنها، لها في العمل كمعلمة وإدارية٠٠ أكثر من عشرين عاماً٠

شعرت بشيء من الثقل والخور فتثاقلت خطاها متأخرة، التفتت فاطمة وهمست: يا عجوز نشطي خطاك، شوفي الرجال الذين في السيارة البيضاء، تلفتت حولها، هناك أكثر من سيارة بيضاء.

قالت فاطمة: قدامك على طول (فزي) حتى تكون صورتنا حلوة ، ضحكت الاثنتان .&&

---

* أبن عرس و التنين مشاهد من رسالة (تداعي الحيوان على الإنسان)

لإخوان الصفا

اللقاء

وقف في الطابور وأخذ يتلفت حوله، يعرف كل الوجوه التي انحشرت عنوة داخل صالة الاستقبال الرحبة يتذكر كيف جاء، عرج مصادفة على مكتب صديقه إسماعيل، فطلب منه مشاركته مشوارا هاما، أخذه الارتباك الذي تقمص استعداد إسماعيل

- سوف نلاقي شخصية هامة..

- أين؟..

- ونشارك في حب الخشوم التي.. نطالعها كل يوم.

- نعم..

- سوف نتأخر..

لم يفد التحذير، وصل الاثنان إلى القصر الكبير، الأضواء تتوهج رجال الشرطة في كل مكان، وآخرون يحدقون في كل قادم بقسوة.

الثبات وارد، أخرج إسماعيل من لفافة ملقاة على المقعد الخلفي للسيارة مشلحا آخر، طلب منه أن يرتديه؛ الحفل رسمي، ارتدى المشلح وأخذ يتعثر في خطواته.

الصالة مليئة بالحضور، كلهم يعرفهم من تكرار مشاهدته لهم وهم يقبلون الطرف الأيمن للمشلح، أو ينحنون للثم الكف المبسوطة، في المناسبات المذاعة عبر شاشة التلفاز٠

الساعة السادسة، الوقت يمر ببطيء، الساعة السابعة٠٠ صوت مؤذن يعلن عن دخول وقت صلات المغرب، لا أحد يتلفت. لا أحد ينهض٠

قامت مجموعة صغيرة من الصف الأول، افترش كل واحد (مشلحه)، تقدمهم رجل ملتح كبر لصلاة المغرب، انضم آخرون من باقي الصفوف، عاد المصلون إلى مقاعدهم، وأن كان نصفها قد احتل بوافدين جدد٠

الساعة الثامنة، بدت طلائع حركة، تناول معظم الجالسين القهوة، توزع في القاعة بعض رجال الشرطة، وآخرون من ذوي المهام الخاصة.

دخل صاحب القصر وهو يحادث آخر يسير خلفه بخطوات شبه منحن، يحمل بين يديه ملفا برزت من أطرافه أوراق ملونة، نهض الجميع، أشار صاحب القصر للآخر بالانصراف، انشغل الآخر بترتيب أوراق الملف وقد واجه الحائط.

اصطف الحضور في خط للسلام، جاء دوره، مد يده لمس اليد الممدودة، شد عليها كما هي عادته في المصافحة، افتر ثغره عن ابتسامة صغيرة وهو يتأمل الوجه عن قرب، تحرك بعد أن لمس تذمر من يقف خلفه،

لم يلاحظ سطوة صاحب القصر، شعر بأن الأشياء مألوفة لا يوجد ذلك الانبهار، الذي يشاهده كل مساء على شاشة التلفاز.

حاول العودة إلى مكانه، فقد التركيز، لم يجد المقعد، كما فقد الطريق إلى إسماعيل الذي مازال في الصف ينتظر دوره.

العطـــر

في الرابعة من العمر، كلف والدي بالعمل في السفارة في دمشق، وبعد عشر سنوات عدت بعد أن عثر عليه ميتا في سيارته بمواقف سيارات تلك السفارة.

بمعونة من جدي اشترت أمي منزلا في حي متوسط بمدينة الرياض، وفي العام الثالث أقنع جدي والدتي بالزواج، فكان أن تركتني وأختي في كنفه، ولما تخرجت من الجامعة تزوجت ابنة عمي، التي طلبت الطلاق في نهاية العام الأول.

نمت في داخلي حاجتي إلى الحرية، أخذت إجازة من العمل، سافرت بالسيارة في رحلة داخلية غادرت فيها الرياض، ولما وصلت إلى مكة المكرمة أديت مناسك العمرة وبقيت ثلاثة أيام، ومن جدة شحنت السيارة إلى الرياض، وركبت الطائرة إلي أوروبا ثم أمريكا ٠

طالت رحلتي بعد أن تمكنت من الحصول على قبول في الجامعة لأخذ دبلوم في الحاسب ودرجة الماجستير، سبع سنوات استمرت الرحلة كان فيها عمي قد توفي في حادث سير وجدي مقعد في دار رعاية المسنين، أمي طلقت من زوجها واحتفظت بابنها منه.

انشغلت بتأسيس وكالة لتوزيع أجهزة الحاسب ذات مساء تلقيت اتصالا هاتفيا من موظف في جهة حكومية يطلب مقابلتي، كان سؤال الموظف عن قصدي الذي أخفيه في نص إبداعي نشرته مجلة أدبية في القاهرة، وبين حوار الأسئلة تم سجني أشهر، أغلقت فيها الوكالة، وأخذ أحد التجار شركة الحاسب، وخسرت الضمانات المالية، بدعوى الإهمال ٠

أمي تزوجت برجل يصغرها كثيرا، فهجرت الدار وأقمت في استراحة أعددتها كمستودع لمشروعي، على أرض جاءت كمنحة من الدولة توسط فيها جدي أيام غيابي.

عاودت نشاطي التجاري بمشروع صغير، بعد غروب يوم كان علي مقابلة وكيل شركة الحاسب، اصطدمت بمؤخرة سيارة وقفت فجاءه أمامي حتى يترجل من بداخلها، نزل السائق لم تكن هناك تلف أو آثر.

طلب الشرطي الذي انبثق فجاءه رخصة القيادة وبطاقة السيارة وطلب مني مراجعة إدارة المرور، لاحظت أنه تجاوزني وأخذ يتابع من يترجل من العربة الأخرى وهو يبادل السائق الحديث ٠

أخذت رقم العربة ورقم لوحة سيارة شرطي السير، أوقفت عربتي في مكان مناسب حتى أنجز عملي، راجعت إدارة المرور لم أعثر على أوراقي، طلبت من القائد تزويدي بورقة سير مؤقتة حتى لا يعترض طريقي شرطي أخر، تكررت زياراتي لمركز الشرطة، أخذت أبحث عن سيارة الشرطي، وطلبت من صديق معرفة صاحب السيارة الأخرى، عثرت على سيارة الشرطة مع أخر، كانت رخصة القيادة وبطاقة سيارتي في درج السيارة ٠

بعد أيام أخبرني صديقي أن السيارة التي أبحث عنها تعود لمسئول هام تردد في البوح باسمه، نسيت الأمر لانشغالي بأعمالي طلبت إحدى المدارس الأهلية تجهيزها بالحاسب، أثناء العمل تعرفت على مديرة قسم البنات ومساعدتها، كانت المساعدة عانس أغرتني المديرة بها زوجة. أخذت زوجتي تنقل عمل المدرسة للدار، بين كشوف الأسماء عثرت على اسم المسئول الهام من خلال وجود ثلاث من بناته في مراحل مختلفة، عرفت أن هناك ابنة رابعة تركت الدراسة وعادت من الخارج تحمل الدكتوراه ٠ تعثر زواجها أكثر من مرة.

في السنة الثانية جاء أسامة ومعه كان الطلاق، عدت للاستراحة أبحث عن السكينة من خلال تكثيف البوح والكتابة، كتاباتي في الصحف تطورت إلى مناقشة أمور المجتمع وسلبيات الأداء الحكومي، لم يعد للمكتب نصيب في الأعمال الحكومية وتوقف البيع على الأفراد.

أمي طلقت زوجها الشاب، تعرض محلي التجاري للسرقة، أقمت مع والدتي بعض الوقت. ذات مساء وأنا أقلب العدد الجديد من المجلة التي تنشر ما أكتب، جاء الموضوع الرئيس دراسة لكتاب أصدرته ابنة المسئول الهام، تطرق الكاتب لأهمية الكتاب وأثره على الساحة الفكرية، وحاجة المكتبة لمثل هذا العمل.

بحثت عن الكتاب في المكتبات فلم أعثر عليه، طلبته من محرر المجلة التي تنشر كتاباتي فوعدني خيرا، جاء الكتاب مع مراسل خاص، كان المراسل السائق الذي اصطدمت بسيارته لم يذكرني دعوته لشرب الشاي، في تلك الدقائق دفعته للحديث عن الدكتورة واهتماماتها الثقافية وسفرها المستمر، أخذت أقلب الكتاب فوجدته مجموعة مقالات انتهى وقتها وأخرى لاتهم الشريحة الكبيرة من القراء قدمت دراسة مناقضة، المجلة رفضت نشرها.

كنت أتأخر في مكتبي لإنجاز بعض الأوراق، ولما لم يكن شيء يلزمني أعود لمسكني قبل غروب الشمس، مع ارتفاع نداء الإقامة لصلاة العشاء رن جرس الباب، كان السائق ومعه رجلين، أستنشق أنفي عطر نسائي، دخلت تتهدل عباءتها على جانبيها، تلبس سروال (جنز) وقميص ملون بمثلثات ومربعات، جلست على أقرب مقعد، سألتني عما كتبت عن كتابها، تأخرت في الرد، رمت بأوراق أخذتها من السائق أمامي على الأرض، انحنيت أجمعها لفت نظري حذاؤها الرياضي، بعد جمع الأوراق تجاوزت المفاجأة دعوتها لدخول مكتبتي أخذت تطالع رفوف الكتب، أخرجت كتاب يتناول أسرتها بالذم قلبت صفحاته.

لما جلست خلف المكتب خرجت لإحضار مشروب من المطبخ، غادرت الغرفة والكتاب معها على وجهها ابتسامة صغيرة، طلبت إعارتها الكتاب، في المساء صوتها انسل مناقشا ما جاء في مقالي وفي بعض الكتب التي وجدتها في مكتبتي الصغيرة.

في التاسعة من صباح يوم خميس وأنا أجلس في مكتبي بمتجري، شممت عطرها وقد وقف أمامي زائر بثوب رجالي ناصع البياض وغترة حمراء وعقال، ركزت نظري كانت هي جلست على المقعد المقابل،

خرجنا من المكتب، لفتت نظري سيارتها التي تقف في المواقف، غادرنا المدينة إلى الاستراحة، ترجلت من السيارة تجولت على طرف المسبح جلست، نثرت بين يديها المتوفر من الشراب، تخلت عن العقال والغترة انساب شعرها القصير، خلعت الحذاء أنزلت قدميها في الماء تحدثت عن كتاب جديد لها في المطابع، في السادسة ونحن في طريق العودة، طلبت مني مراجعة المطبعة التي تطبع الكتاب حتى آخذ نسخة للمراجعة قبل خروجه للقراء.

أخبرتني أمي أن زوجتي تزوجت وأنها طلبت منها رعاية أسامة، بعد خروج الكتاب كثر النقاش حوله، مقالي عنه سبب في عودتي للسجن أشهر جديدة، لما خرجت اعتزلت في خلوة داخل الاستراحة، جمعت فيها بعض مقالاتي، أرسلتها مع مندوب مبيعات إلى بيروت لتخرج في كتاب.

زوجتي طلقت، وجاء صوت المديرة يدعوني لأمر هام، حدثتني عن حاجة زوجتي لي ناقشتها في عيوب زوجتي الخلقية، بعد ساعة نهضت معلنة انتهاء المقابلة.

كما هي عادتي وأنا أدخل المبنى التجاري الذي فيه محلي، آخذ مجموعة من الصحف أتركها على المكتب حتى أتفقد العمل، جلست على المكتب أخذت أقلب الجريدة الأولى صدم نظري نعي متوفاة يحتل صفحة كاملة، كانت الدكتورة تكرر النعي في الجرائد الأخرى محتلا أغلب الصفحات غادرت المكتب أخذتني عربتي لمنزل والدها المسئول الهام، دقق رجال الأمن في هويتي، وطرحت أسئلة عن سبب حضوري،

سمع جدالنا أحد موظفي القصر، كان السائق سهل دخولي القصر، أخبرني أن الوالد مسافر، دخلت قاعة الاستقبال عرفني على أكبر إخوانها وأبنها الوحيد من زواجها الأول تقبل الجميع العزاء أثناء خروجي من القاعة، لحق بي شقيقها الأكبر أمر أحد الخدم إحضار مظروف من مكتبه، قدمه لي حسب رغبة المرحومة وأنا أدير محرك العربة عرفت أنه فتح.

رن هاتفي الجوال كانت أمي، تصرخ في بأن الحق منزلي الذي يحترق، لما وصلت كانت النار قد التهمت كل شيء، ورجال المطافئ والشرطة يعدون محضر بالحريق اقتربت من المسئول عرفته بنفسي، طلب توقيعي ٠

أبو سعيد

طفولتي في مدرسة دار الأيتام، ولما بلغت الثامنة عشر دخلت المدرسة العسكرية فتنمى عملي وتدرجت وظيفتي ٠ في الثلاثين تزوجت من شيماء ابنة فلسطيني يعمل مترجم في دائرتي، في السنة الأولى جاء سعيد وفى السنة الرابعة سماح ٠

بعد تقاعد والد زوجتي وحصوله على الجنسية فتح مدرسة أهلية للبنين و البنات ، غدت شيماء مديرة القسم الأنثوي ، وهو مشرف عام و مديرا لقسم الذكور .

طبيعة عملي التنقل و مشاركة الوفود المسافرة و القادمة اجتماعاتهم وجولاتهم وكنت استعين بوالد زوجتي في بعض المهام، غير أني شعرت بالحرج وهو يمارس ضغوطه علي حتى أضاعف المكافأة. و يتدخل حتى أرفض طلبات من يعرف ٠

مع الوقت أصبحت شيماء وهي ترى سعيد فتى و سماح عروس تتجاهل وجودي فكانت تهمل رأي في أمور المنزل وحاجة الأسرة٠

وقد ورثت المدرسة بعد والدها الذي وجد مقتولاً داخل ورشة مهجورة لإصلاح السيارات في شارع معارض السيارات حيث يكثر العاملين في هذه الورش من الفلسطينيين و جاليات أخرى من شرق آسيا

اعتنت شيماء بوالدتها فأشرفت على زواج شقيقاتها الثلاث وابتعاث أخويها لدراسة الطب في إحدى دول شرق أوربا .

سعيد التحق بكلية الاقتصاد و الإدارة و سماح وهي في السنة الثالثة ثانوي خطبت و قبل ظهور نتائج اختبار الثانوية العامة كان زواجها من ابن زميل في العمل .

في جولة تفقدية على أحد المواقع الحدودية تعطلت بنا السيارة، كان السائق معي فقط لم يشعر أحد بتأخرنا ولم نكن مستعدين لهذه الحالة ٠

البرد القارص يلدغ جسمي ، والهواء الذي يحمل ذرات الرمل يصفع سيارة الجيب ومسام الغطاء تصدر أصوات متناغمة ٠ لأ أدري كيف غفيت ٠

صحوت على ثغاء أغنام وهرج أشخاص لا أعرفهم السائق ميت، تلفت حولي الأشخاص و الماشية يبتعدون وقد خلت العربة من كل شيء، نقلت السائق إلى صحن السيارة وأدرت المحرك ٠

وصلت إلى الإدارة وهناك اتهمني أقارب السائق بقتله ٠ سبب موته كان لدغة أفعى عثر عليها الأطباء ميتة في سرواله .

اهتزت معنوياتي و شعرت بالإرهاق و العجز ٠

دخلت المستشفى فأحتار الأطباء في علتي حدثت الأخصائي النفسي عن طفولتي و مدرسة الأيتام وعرفت أن لي آخ ٠ أيضا دخل معي المدرسة ولا أدري مصيره

تذكرت مقتل والد شيماء سألني الأخصائي عن عماد٠ أنكرت معرفتي وفي أثناء الحديث عرفت آن عماد شقيق شيماء رفض العودة وشكل فصيل فلسطيني لمقاومة اليهود في دمشق و أبحاثه و مقالاته المنشورة في الصحف والكتب تتهم وطني بالعمالة و الخيانة شعرت بحاجتي للنوم . .

أحلم في صحوي والمنام آني أمص الحليب من ثدي امرأة سترت وجهها بغطاء أسود شفاف ، وأن أخرى كانت تأخذني إذا شبعت ، تذكرت أخي الذي كان بكاؤه يملأ الدار وغرف مدرسة الأيتام و تسابقنا على الدرس و النجاح وحرص العاملين في المدرسة على أن نشعر بأننا في يد أمينة .

قالت شيماء الرجل جن كانت تحادث أمها وقد أغلقت علي باب غرفة النوم

سماح تأتي لزيارتي كلما سمحت الظروف لزوجها . سعيد رغم وجوده معنا في الدار نادراً ما يدخل الغرفة آلتي أجد في داخلها السكون والأمن، فكنت أتناول طعامي الذي تحضره شيماء عندما تكون في الدار ٠ وان كانت الخادمة هي التي تقوم، بذلك لم تنقطع زيارتي إلى المستشفى ٠

أصبح عملي بعد أن ترفعت مسئولاً عن قطاع الإنتاج في مصانع الدائرة التي تجمعها رقعة واحدة على بعد مائة كيلو عن الرياض ، فضلت الإقامة في بيت الضيافة الذي يستقبل الزوار و القيادات العليا ٠

انقطعت صلتي بشيماء حتى وصلني استدعاء من المحكمة لطلب الانفصال ادعت إني لم أعد قادرا على أداء واجبي كزوج ٠ نسيت ذلك وأمام إصرارها على تحويلي لطبيب للكشف كان الطلاق حتى لا نخرج عن نطاق غرفة القاضي ٠

بعد هذه الصدمة سافرت في مهمة عمل إلى بلد عربي وراجعت الأطباء عرفت أني فعلاً وصلت إلى هذه الحالة ٠

طلب مني زيارة طبيب نفساني لأن ما أعانيه ليس مرض جسدي، أستقر في ذهني وقد تجاوزت الخمسين الاستقالة، غير آن الإدارة رفضت ذلك فأخذت إجازة سافرت فيها إلى جدة ٠

أشعرت فرع إدارتي بالمدينة بمكاني وعلمت أن الرئيس سوف يزور الفرع فكنت من المستقبلين ، ولما اختلى بي عرف رغبتي في الإقامة في هذه المدينة و تكوين حياة جديدة ٠ بعد أيام قدم لي أحد المراسلين مضر وف مغلق بداخلة صك تملك إحدى الوحدات السكنية

آلتي تمنح لكبار المسئولين ، وصك أخر لقطعة أرض بمساحة أكبر هدية شخصية من أملاك الرئيس في المدينة . أقمت عليها أسواق تجارية وهجرت المسكن إلى شقة في عمارة بجوار السوق .

تذكرت مدرسة الأيتام التي أدخلني بها خالي أخذت أسال عن مصير المدرسة و ملفاتها حتى وصلت إلى بداية الخيط ٠

سافرت إلى الرياض حيث تكدست الأوراق تعاطف أحد موظفي الأرشيف معي عثرت على بعض أوراق ملفي عرفت أن خالي كان زوج أمي تخلص مني ومن أخي بعد أن التحق جندي بالأمن في مكة المكرمة ، ومن الكشوف عرفت أن أخي هرب من المدرسة

سافرت إلى قرية أمي و زوجها ، لم أجد من يعرفني وان كان اسم أمي و عائلتها دليلي وعرفت أن أبى أحد عمال مزرعة والدها ، اختفى و تزوجت ابن خالتها .

عدت إلى شقتي خائباً ووجدت معالم زيارة سعيد و سماح لا أدري كيف استدلا على عنواني غير أن المسئول عن أحد المحلات أخبرني أن سيدة زارت المحل وأخذت فاتورة بما شرت ولما ذكر اسمي سالت عني وكأنها تعرفني تكررت زيارتها للمحل

ترددت في الاتصال برقم الهاتف الذي دونته في دفتر على مكتبي الأول هاتفا ثابت في الطائف ٠

والآخر نقال جربت الأول لم يرد أحد و استعملت الآخر فجاء صوت توهمت أني اعرفه فعرفت نفسي بأبي سعيد ٠

أنها تما ضر أخت شيماء عرفت أمري مصادفة ٠ تقيم في الطائف منذ خمس سنوات حتى الآن لم ترزق بأبناء رغم مرور عشر سنوات على زواجها.

شيماء تزوجت بآخر ، أسرته من قرية والدها التي احتلها اليهود عام ١٩٤٨ من فلسطيني الشتات .

شقتي في الدور الأرضي نوافذها تطل على مساحة صغيرة من الأرض قمت بزرعها ببعض الزهور، ويعتني بنظافتها عاملة حبشية تحضر يوم بعد يوم تغسل ملابسي وتنظف الشقة ٠ .

جاءت تما ضر، رن جرس الباب لما فتحته العاملة الحبشية وزعت نظراتها بيننا واختفت ٠ أخذت تحدثني عن حياتها ، وان أخاها عماد عاد مع العائدين إلى فلسطين برفقة المنظمة كمسئول إعلام وأخاها عبد الله التحق بمدرسة شيماء الأهلية بعد تخرجه من الجامعة ، أما أختها الثالثة فقد رزقت بعدد من الأولاد وهي تقيم مع زوجها في الدمام ٠ سعيد تقدم للعمل مدرساً في مدرسة نائية في قلب الصحراء ٠ بعد آن شربت الشاي نهضت ، دعتني لزيارتها والتعرف على زوجها الذي يعمل في البنك الأمريكي .

تبدل حال العاملة الحبشية بعد زيارة تما ضر ، أخذة تعتني بشكلها وتهتم بتوزيع الأثاث داخل الشقة والحرص على إبراز ذوقها في العناية بالستائر واللوحات الفنية والصور المعلقة على الجدران ، كما قامت بإبدال الكرسي الذي اعتدت التمدد عليه في غرفة الجلوس ، وأنا أستسلم لأناملها التي تتلمس ألم مزمن في كتفي الأيمن يشتد حتى يصل أسفل ظهري ، وقررت النوم في غرفة الضيوف حتى أجد الإفطار وكأس الحليب ٠

ذات ليلة وأنامل العاملة تمارس طقوسها في ملاحقة أوجاع ضهري ، رن الهاتف كانت تما ضر تتحدث عن مشروعها الحلم فأخذت أضحك ، تجاوز التدليك الأماكن المعتادة تغلغل فسرى خدر في أعماقي فنملت أطرافي ، لا أدري متى نمت وكيف تركت غرفة الجلوس ، تلفت حولي غطيت جسدي العاري ، باب الغرفة مشرع ،

صوت العاملة ينساب رخيما بأغنية تسكن أعماقي، وجدتها في المطبخ بادلتني تحية الصباح، تناولت كأس الحليب والإفطار، وصلت مكتبي متأخر ٠

عدت في المساء وجدت باقي الإفطار مكانه في غرفة الجلوس تجولت في الشقة لا أحد حملت أطباق الإفطار إلي المطبخ، بدلت ملابسي.

أعددت كوب شاي، جلست أمام التلفزيون أتابع ما يعرض حتى نعست، تأخر قدوم العاملة الحبشية حتى شعرت برائحة الغبار ٠ طلبت من أحد العاملين إحضار أخرى

اعتدت النوم حتى الظهر في أيام الخميس٠ حيث أسهر مع مجموعة من الأصدقاء إلى ساعة متأخرة نلعب البلوت و نتعشى في أحد شاليهات البحر ونمارس السباحة عندما يكون القمر في كبد السماء .

جرس الباب يرن كنت أحلم تكرر ، نهضت بقميص البيجاما وسروالي القصير

كانت تما ضر لما شاهدت٠ ملابسي ضحكت ٠

خلعت عباءتها تهدل شعرها ٠فتحت حقيبة يدها وأخرجت مجموعة أوراق نثرتها على الطاولة أخذت تحدثني عن مشروع مشغل الخياطة.

دخلت الحمام غسلت وجهي وغطيت جسدي، لم تكن في غرفة الجلوس سمعت صوتها وحركتها في المطبخ عادت تحمل الشاي وقنينة ماء أخذت أقلب أوراقها ٠

رن هاتفها الجوال قامت تاركة الأوراق قالت وهي تفتح باب الشقة أنها سوف تعود بعد غروب الشمس ٠

ارتفع أذان العشاء وإذا بالباب يقرع كانت تما ضر انهارت باكية على أحد مقاعد الجلوس عرفت أن سائق عربتها اصطدم بسيارة أخرى وتم حجز السائق، تركت رأسها ينام على صدري ٠سرت ابتسامة خفيفة على وجهها أخذت أمازحها.

أحد الأصدقاء أحضر عاملة إندونيسية تعمل في مشغل خياطة تديره زوجته.

زارتني ابنتي سماح و جاء سعيد لقضاء أيام من إجازة نهاية العام الدراسي قبل سفره إلى الخارج، بعد سفر سماح ناقشته في عمله أخذ يبكي على كتفي تذكرته طفلاً عندما أعاقبه كانت دموعه تنهار وهو يلتصق بي تركته يبكي حتى نام ٠

جهزت الخادمة، الإفطار جلسنا حول طاولة الأكل تحدث عن حياته وشعوره باليتم تحدث عن المدرسة وكيف أنه كان يعرف بين أصدقاءه بسعيد الفلسطيني، عرفته على عمال المحلات التجارية ذكرته بطفولته وكيف كان يبكي كثيراً٠

جلسنا حتى ساعة متأخرة من الليل على البحر، عرفته على الأصدقاء في منتزه بحري عاتبه البعض على انقطاعه سافر غير أنه عاد بعد أيام٠ توسط له بالنقل فكان أن جاء اسمه في قرار خاص.

تما ضر وهي تقوم بشراء ما يحتاجه مشغلها همست أني تلك الليلة كنت الإنسان الكامل تذكرت شيماء و عجزي.

خطبت لسعيد ابنة أحد الأصدقاء ٠ جهزت سكنه بما لم يحلم به حضرت شيماء حفل الزواج كانت أكبر من سنها ٠

قالت شيماء ونحن نجلس على طاولة في منتزه بحري ضمت سعيد وزوجته وتماضر ٠ انها تنوي شراء شقة حتى تكون بجوار ابنها ،

قام سعيد أخذ زوجته حتى يركب معها أحد الزوارق لم أعلق على الأمر.

لا أدري متى كان مولدي وأين ولمن أنتمي٠ تواردت هذه الخواطر وأنـا أقـف خلـف المنـبر حتى أقوم بإلقاء قصيدة شعر كتبتها للمسابقة الأدبيه٠

أخذت أعد الحضور، فإضافة عدد مواز لكل رقم أصله لأعرف كم عينا ترمقني هذه اللحظة في الصالة، متجاوزا تلك التي تتابع المسابقة عبر شاشات التلفاز. اعتذرت عن إلقاء القصيدة وغادرت الصالة، تصفيق حاد يلاحقني تجاوزت سيارتي، اخترقت طرقا تعرفها طفولتي حتى وصلت الدار،

لم يكن هناك أحد، الجميع تركني ورحل، تمددت في الفراش بملابسي، الظلام يحيط بي٠ أخرجت القصيدة من جيب الثوب، ارتفع صوتي مرتلا أبياتها، هناك من يدعوني لإعادة بعض المقاطع.

في المكتب طالبني الزملاء بمشروب وإفطار دسم على حسابي، لقد فازت قصيدتي بالمركز الأول٠ جلست خلف مكتبي بعثرت محتويات جيبي على سطح المكتب٠ بطاقات، أسماء، قصاصات تحمل أرقام هواتف وفواتير المغسلة حيث تربض ثيابي دائما٠

الشيء الذي افتقدته أوراق القصيدة ٠خرجت من المكتب عدوت إلى الدار قلبت المخدات وكتبي المتناثرة على الأرض٠

تذكرت النادي الأدبي والحفل، غادرت الدار لم أهتم بمنبهات سيارات الأجرة وإشارات قائدي بعض السيارات التي تشاركني الطريق٠

باب النادي مغلق، اتجهت إلى سيارتي فتحت بابها جلست خلف المقود، أدرت المحرك وأخذت أمزق أوراقا وجدتها على المقعد تحمل نصا شعرياً، نثرت القصاصات على رصيف وإسفلت الشارع ٠

قادتني السيارة إلى خارج المدينة ٠ شعرت بالعطش والجوع، توقفت بجوار مقهى ركاب متهالك سبقني إلى احتلال بعض زواياه مسافرون ران عليهم الصمت٠٠٠٠

الفأر

دخل الدار في الثالثة صباحاً، توضأ وصلى ركعتي السنة، وأخذ يبتهل كما أعتاد قبل الرقاد.
خلع ثوبه واستلقى في الفراش الممتد على الأرض في غرفة الجلوس، بعد أن أطفأ الضوء.
انقلب على جانبه الأيمن٠ شعر بخدر في ذراعه الأيسر، حيث كانت الكف تحت صدغه.
أعتدل، ثم نام على بطنه بعد أن دفن رأسه في الوسادة٠ سمع حركة حوله٠ أنصرف إلى أعماقه، بينما فأر بدأ يقرض قدمه ويلتهم أصابعه، أدغم في ظلمة دامسة.
جاء صوت قرع على الباب الخارجي مختلطاً بصوت دقائق الساعة٠ تنبه تأمل الساعة٠ شيء يحجبها عنه٠ جلس في الفراش٠ تلفت حوله، كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة.
الفأر مازال يقرضه٠ تمدد مجددا٠ أغمض عينه وشبك ذراعيه على جبهته ورحل.

انبجاس

تشكلت الأحداث، نمى الموقف الإيهامي حتى نزح ارتهان البياض إلى مساحة من السـواد طفحت إلى السطح، وهو يرى الانتفاخ يكبر.

لفت نظره زميل في العمل عندما تحدث عن تضخم بطنه لم يهتم، أمام نظرات زوجته تسرـب قلق إلى أعماقه، زار الطبيب فكانت الفحوصات إيجابية لم توضح الأشعة أسباب غير طبيعية للانتفاخ.

قرر السفر إلى القاهرة للعلاج، في الطائرة شعر بآلام شديدة في أسفل البطن أسرع إلى الحـمام لاحظت المضيفة حبات العرق على جبينه.

أستقل سيارة أجرة، أخذه السائق إلى فندق ثلاثة نجوم، كانت موظفة الاستقبال لبقة وأنيقـة حمل أحد العمال حقيبته إلى غرفته.

تمدد على الفراش، عاودته الآلام اتصل بالاستقبال، كانت هي من أسرع إليه جلست إلى جواره.

: إنه المخاض..

: ماذا..

جلس في الفراش ممدداً ساقيه شعر أنه يتبول رغم أنفه الألم يزيد، أخذت تسري عنه وتدلك كتفيه تمسح بمنديل ورق عرقه.

هدأ ساعدته على التمدد أغمض عينيه، سمع صراخ وليد يتردد في جنبات الغرفة الظلام يحيط به وصوت يقول..إنه ولد.

غادر الفراش، دخل الحمام تخلص من ملابسه، بقع الدم هنا وهناك. أنسكب الماء على جسمه باب الغرفة يفتح كانت موظفة الاستقبال.

قال: هل أعرفك..

هزت رأسها نفيا ومع ذلك قالت: نعم

جلس في مكان اختاره بعناية في مدخل الفندق، ينتظر بروز وجهها وراء طاولة الاستقبال، عرف أنها ذهبت لتناول الغداء، قعد بجواره شخص ضاعت معالم وجهه همس.

: إنها تحبك..

: من

التفت كان المكان فارغاً.

دخلت الفندق امرأة وخلفها طفلين، توقفت المرأة عن الحركة عندما التقت نظراتها به، كانت تنسل إلى غرفته في منزل الأسرة عندما يختفي الجميع، وفى مساء اليوم الذي تجيء فيه يحلم بأن هناك من يغتصبه كان ذلك قبل سنوات اختفت فيها.

ركض الأصغر نحوه مد يده نحو الطفل يداعبه، كانت تبتسم مشرقة.

أحدهم يربت على كتفه فتح عينيه كانت هي نهض لحق بها في المصعد، سبقته في الدخول إلى غرفته.

أرتفع صوت المنبه، جاءه صوت زوجته يحثه على القيام، نداء اعتاد عليه وصل المكتب متأخراً سلم على من سبقه، تلفت حوله دخل غرفة الخدمة أشعل الموقد.

مريم

بعد عام من الحديث الليلي عبر الهاتف، وأوقات حرجة فيها زوجي وأولادي الخمسة؛ ثلاثة أولاد وبنتان بحاجة إلي. قررت مريم التي لا أعرف سوى أسمها أن نلتقي. بكت هددت بالانتحار إن لم استجب لرغبتها.

كان علي أن أقف على الرصيف المحاذي لمحلات الذهب في السوق. هي تعرفني وقد استطاعت بواسطة دموعها معرفة كل شيء، علامتها علبة حلوى حمراء اللون تضمها إلى صدرها مربوطة بشريط أبيض.

ترجلت من عربة زوجي وجلة، دخلت ممرات السوق وهدأت شيئاً، عدت إلى الرصيف المحاذي لمحلات الذهب.

كان يقف يرمق الفضاء ببصره، العلبة الحمراء ذات الشريط الأبيض يضمها إلى صدره بيده اليمنى، تجاوزته بعد أن تأكدت من وضع العباءة والنقاب، دخلت السوق، وعدت مازال في مكانه.

هل انتحرت.. وجاء بدلاً منها.. هل أرسلته وهي الآن هناك٠٠ عدت ووقفت بجواره

قلت بصوت مرتفع:أين مريم ؟.

قال بصوت متهدج : اتبعيني

تحرك والعلبة مازالت ترقد على صدره، دخل باحة السيارات توقف بجانب عربة بيضاء اللون فتح الباب الأمامي للراكب٠

قال: أركبي

أجلس بجوار رجل لا أعرفه، وضع العلبة على المقعد الخلفي، غادرنا السوق شيء من الثبات كسبته، لكن صوتي لم يسعفني.وقف أمام بوابة عمارة من عدة أدوار،

قال وهو يغادر العربة.. وصلنا

سبقني إلى المصعد، سرت خلفه لا يوجد أحد في المدخل، كان الدور السادس، فتح بابا بجوار المصعد، ترك لي مجالا للدخول

قال: بصوت مرتعش: تفضلي..

صوتي يتردد داخل الشقة حولي عدد من باقات الورود. وقف قبالتي..

قال وهو ينزع الغطاء عن وجهي: أنا مريم

وهم

الذي أعرف إنها شقيقه حنان تقيم مع طفليها في سكن خاص على غير وفاق مع زوجها الذي يهجرها أشهر ثم يطل لزيارة طفليه ومساعدتها على مصروف البيت.

تعمل معلمة في مدرسة ابتدائية تمارس بين وقت وأخر الكتابة الصحفية في جريدة يومية تشغل وقتها بالعمل وزيارات الصديقات أو مساعدة والدتها.

حنان تهرب أليها من رقابة أمها . فكانت تشاركنا لقاءاتنا، قليلاً ما كانت تمنحنا فرصة الجلوس لوحدنا.

ذات مساء أوصلنا حنان إلى المنزل كانت تجلس مع طفليها في المقعد الخلفـي وفي طريقنـا إلى سكنها طلبت مني الوقوف أمام البقالة التي في بداية الشارع .

عادت لتجلس في المقعد الأمامي وطلبت مني البحث عن بقاله أخرى، طال تجوالنا لم تكن تريد شيء إنما تبحث عن مساحة أكبر لنبقى وحيدين .

ذات ليلة في منتزه الردف، وحنان تواصل حديثها عن كل شئ قالت:

- تقدم أحدهم٠٠ طلب يدي٠!

مفاجأة اكبر من اللحظة التي نحن فيها

- رجل صاحب منصب ومستعد لمنحي فرصة إكمال دراستي.

عواطف ترجح اصغر طفليها والأخر يترجح في اللعبة الأخرى، ترصد حركتنا وتحاول فهم ما نقول رغم العتمة والمسافة التي تفصلنا٠

- أمي موافقة ..!

عرفت انه مساء أمس قرأ الفاتحة مع آبيها في مسجد ابن عباس ،كان وفق طموحات أسرتهـا وتطلعاتها٠

(٢)

جاء صوت عواطف عبر الهاتف تسعى لإدخال أبنتهـا المدرسـة لا ادري كيـف اسـتجبت للنداء، تكررت الطلبات كتب أقـلام وأشـياء أخـرى، هـذه المـرة الأولى التـي ادخـل فيهـا مسكنها.

كانت المفاجأة قيامها بتغطية وجهها، أخرجت من جيبي عشرة ريالات أمرت الخادمة بأخـذ الطفلين وشراء حلوى لهم .

(٣)

حنان تسال عن حياتي بعدها، تتحدث عن معاناتها، انقطاعها عن الدراسة بسبب الحمل، انتقال عمل زوجها إلى مدن مختلفة، دعتني لحضور زواج أختها الثالثة٠

قمت بشراء دار جديدة وأثناء أعدادها للسكنى جاء صوت عواطف تسعى للنقل من مدرستها وعلي مساعدتها.

تتحدث عن سوء أخلاق مديرتها، ولم تلاحظ وقوفي أمام الدار حتى دخلنا الفناء، رفضت النزول من السيارة فتحت الباب وحملتها تعلقت برقبتي٠

أخذت تبكي .

قلت: أعرف أن سامية تزوجت

سامية تشاركها شذوذها وسهرها ، تزوجت متأخره بعد فشل زواجها الأول، وأنتقلت لمدينة أخرى .

وأنا في مكتبي ذات صباح جاء

_ الأستاذ فيصل

_ نعم

_ أنا أبو سعد ٠٠٠ صالح الطيب

لم أعرف الرجل ولا اذكر الاسم دعوته للجلوس حتى أنجز ما جاء من اجله، التفت نحوه

- أمرك

كان زوج عواطف هكذا عرفت منه، حرص على مقابلتي بعد وفاتها بسبب جرعة زائدة من مخدر٠

وجد صور لي وبعض قصاصات جرائد في خزانتها الخاصة، قدم الأشياء داخل مغلف أخذت أراقبه وهو يغادر المكتب كل شيء فيه يشعرني بأنه يعرف عني ما لم اعرفه ٠

الأستاذ

قالت أجرب كتابة الشعر فقد تلمس الأستاذ في كتاباتي المنوعة التي جمعتها في دفتر أني شاعرة. أخذ يتصل الساعة الواحدة ليلاً وهو يقلب صفحات الدفتر المدرسي ناقداً ومصححاً حتى كتب أربعين نصاً شعراً من خلال محاولاتي.

ذات مساء وجدته أمامي في مطعم الأكلات الأجنبية كان يجلس مع زوجته فطلبت من أختي وزوجي أن نجلس في الطاولة المحاذية.

كان الحاجز الخشبي يفصلنا صوته الخافت يصلني تعمدت رفع صوتي ونحن نتحدث كنت اختلس النظر عبر فتحات الحاجز الصغيرة، صوتي لم يؤثر فيه، تماديت في الجدل وأخذت أختي تحدق في باندهاش، عندها شعرت بأني وصلت إليه.

بعد العشاء سافرت مع زوجي الذي حضر كما هي عادته كل أسبوعين، بعد أن كلف بالعمل منذ أشهر في مدينة أخرى، أخذت إجازة خمسة أيام من عملي، كانت المفاجأة مشاهدتي لقصيدة في صفحة الثقافة تحمل اسمي عدت إلى المعتاد، كان مساء يوم السبت صوته المتهدج يملأ فضاء حجرتي، همست في أذن شقيقتي بأني مدعوة للعشاء.

ينتظرني بعربته في مدخل شارعنا تلفت حولي لم أهتم بدخول المركز التجاري زيادة في الحذر، إنما اتجهت إليه رأسا، لم يفتح الباب صعدت إلى العربة مرت دقائق حتى قلنا في صوت واحد مساء الخير.

دفتري المدرسي يقبع على المقعد أخذت أقلبه، توقف أمام أحد الفنادق متريثاً ثم دخل الفناء.اخترنا طاولة جانبية في المطعم طلب منى رفع الغطاء عن وجهي

- إنه أنت ..

- أنا ..

- أجل تلك الليلة في المطعم..!

أخذت أضحك كثيراً تحدث عن تجربته الطويلة وإحجامه عن النشر- رغم وجود أعمال كثيرة مخطوطة منها ما تسرب للصحف.

حاولت أن أحاسب عن العشاء رفض سبقني، إلى المغسلة أخذت أتابع حركته ببصري فيه عرج خفيف، أمسك بيدي حتى خرجنا من مطعم الفندق، أوقف العربة أمام مدخل العمارة، وقفت في المدخل حتى تحرك.

تمددت في فراشي اقلب الدفتر وجدت أربعين قصيدة هي مجمل كتاباتي ورسومي القصيدة المنشورة من ضمنهم أخذت أضحك.

زاد قلقي وأنا أنتظر صوت الأستاذ الذي تأخر.. اتصلت به في الصحيفة التي يعمل بها بحثت عن عنوانه ورقم هاتفه في الدليل، أعرف اسمه الأول ولقبه

هناك عدد من الأسماء تحمل لقبه، أخذت أتابع الأرقام في الدليل جاء الرابع يعرفه.

: انه أخي

: أين..

: تعرض لمرض وسافر للعلاج.

شيء في داخلي تحرك، اخترت نصاً حزينًا نشرته ونشرت آخر مع الحروف الأولى من اسمه.

ذات مساء جاء صوت يطالبني بالتوقف عن نشر القصائد لأنها للأستاذ.. سألت عنه : انه في السجن.

عرفت أن زوجته ادعت عليه بمحاولة دهسها بالعربة عندما أنزلها أمام بـاب المدرسـة التي تعمل بها ٠

: إنه شعري

: الجميل إنه نشر باسم مستعار

: كيف

: لو نشر باسمك لاتهمك بالسرقة

كان يبتز الآخرين بوهم الشاعر وهاجس الكتابة أقفلت الهاتف، جاء زوجي متأخراً طلب إعداد حقيبة سفره،

وأنا في مكتبي أقلب ملفات الموظفين، فتح الباب بهدوء كانت أختي جـاءت لزيـارتي بعد أن أنهت موعدا مع الطبيب الذي يتابع حملها، نهضت معها حتى البـاب٠ لحظـت الواقف في الممر، أخذت أتبعها بنظري حتى اختفت أغلقت الباب ثم فتحته، الرجـل في مكانه تحركت نحوه٠ كان الأستاذ وقـد جفـت الحيـاة في كيانـه، ارتـديت العبـاءة أمسكت بيده غادرنا المبنى.

أولاده كان نزيف دمه لا يعنيهم، فبحث عن اسم يضم تحت أحرفه ما لفظه زمن جريح.
أراد ربط الاسم بالواقع، تبسم عندما أصطدم بصره بالقمر الذي اكتمل، شعر بلدغه الـبرد، ألقى التحية على صاحب الوجه الذي أخذ يعتاده في مدخل المقهى.

المسـجـد

وقف عند فتحة الباب ، تنقلت نظراته بين إسفلت الشارع الذي تراكم عليه التراب ، وكوم المخلفات في الأرض المحاذية للمسجد الجديد المقابل لمنزله ، وقد تأخر افتتاحه بسبب عدم وفاء فاعل الخير الذي تبرع بوعده فأخذ أهالي الحي يساهمون في إنجاز ما تبقى .

مد أحدهم الكهرباء وساهم آخر بالماء وتوسط ثالث لدى شركة من أجل زفتت الممرات حول المسجد .

باب المسجد مفتوح وصبيان الحي يتراكضون للدخول ٠ تذكر أن جاره قال قبل يومين: سوف نصلي المغرب يوم الخميس بالمسجد أغلق الباب واتجه إلى المسجد ٠

عندما حاذى النوافذ سمع المصلين يقولون "آمين" ، مد الخطى ودخل٠ لحق الإمام راكعاً ، أكمل ما فاته من الصلاة٠ تلفت حوله كان المصلي الوحيد .

الرحـــلة

بعد ألف عام عاد، أخذ سيارة أجرة، يعرف أين تقيم أسرته، الشوارع تحمل أسـماء جديـدة، السائق غير عربي تفاهم معه من خلال الإنجليزية.

تذكر أنه سافر منذ عشرين عاما لإكمال دراسته الجامعية في مجال الطب، بين مقاعـد المكتبـة، وغرف وقاعات الجامعة ارتبط بها، أخذته إلى أسرتها تعرف على أمها ووالدها، أخذ يشـجع النادي الرياضي الذي تشجعه.

ذات صباح عرف أنها حامل، شعر بالذنب وقرر الزواج منها ، أنـدغم في الدراسـة حصـل على الدكتوراه استقطبه مركز البحث العلمي في الجامعة ، جاء مولوده الثاني ثم الثالث .

تذكر أسرته عندما جاء وفد من الوطن لعقد اتفاقية علمية مع الجامعة، تحدث معهم بعربية خجلى زرعت في داخله هاجس زيارة أهله ، أخذ إجازة من العمل أوصلته زوجته إلى المطار .

توقفت سيارة الأجرة أمام بوابة لازالت كما هي، قرع الباب٠ لا أحـد هنـاك، زاد في ضرب الباب٠ ترجل السائق أخذ يساعده ، جاء آخر من فم الشارع يركض، وقف بين الاثنين كان من جنسية السائق عرف أن الدار تحولت إلى مستودع، وأن صاحبها يقيم في نهاية الحي .

فتح الباب، كانت عاملة غير عربية عرفت اسمه، أخذت تنادي من بالداخل، خرج شـاب عرف أنه شقيقه الأصغر من خلال شجه يعرف أسبابها في وجهه، تعانقا٠ أخذت أمه تبكي، جاء والده من محله التجاري غير مصدق، استعاد ذاكرته.

بعد أيام قرر العودة لإحضار زوجته وأولاده في مناسبة أخرى، وأن إجازته انتهت، ويخشـى أن يفصل من عمله.

أخذه والده لمحله التجاري لإقناعه بالبقاء، في المساء كانت سيارة إسعاف تقف أمـام الـدار انطلقت وهو بداخلها إلى مستشفى الصحة النفسـية بعـد أن تشـاجر مـع الجميـع لم يصـدق الأطباء أنه يملك قدرته العقلية ، الإحباط طوقه من كل مكان .

أخذ يعيد ترتيب أفكاره، لا شيء يساعده على الخروج، تقرب إلى أحد العاملين بالمستشـفى طلب منه إيصال رسالة كتبها لزوجته٠ البريد طال انتظاره وكرر المحاولة بعد شهر.

شعر بشيء يعتمل في داخلـه وهـو يـرى إدارة المستشـفى والعـاملين يتراكضـون في جنبـات المستشفى ، دس أحدهم في يده ورقة صغيرة ، ابتعد كانت رسالة من زوجته تشـعره بأنهـا في عداد الوفد وسوف تدبر خروجه٠

بعد ثلاثة أيام كان خارج أسوار المستشفى في عربة الشركة التي تـؤمن الأكـل للمـرضى مـع عمال الشركة داخل صندوق السيارة وقد ارتدى ملابس الشركة حتى لا يمنع رجال الأمـن خروجه.

أمام باب الشركة كانت تنتظره سيارة أحد موظفي سفارة بلدها وبداخلها زوجتـه٠ انـدس في العربة٠ وفى منزل الموظف بدل ملابسه وحلق شعرة واستحم، أصدرت السـفارة جـوازا باسمه الجديد وأخذته السيارة مع زوجته إلى المطار .

بينما قال زوج الأم: جاءت إلينا تبحث عن صبي يخدمها أيام الصيف فكان نـاصر الطفل المناسب.

قالت الأم: هي تملك العمارة التي نسكن أحد أدوارهـا الثلاثـة تطـل كـل صـيف برفقة والدتها وباقي عائلتها ولما غدت وحيدة خطفت ناصر برضا مني٠

قالت: تجاوزت الأربعين أستاذة بالجامعة: أخذت ناصرا لأني وجدت فيه الحلم.

قال ناصر: لم يأخذ أحد رأيي سافرت معها في نهاية الصيف كنت أدرس في الثـاني متوسط.

تسكن شقة واسعة في عمارة تمتلكها من أسرة ثرية مات جميع أفرادها، ورثـت مـع شقيقة لها تقيم في مدينة أخرى رصـيداً نقـدياً، اقتنـت بجـزء مـن رصـيدها هـذه العمارة٠

جاءت الليلة الأولى صارخة٠ إذ أنها مارست واجبات الأم: دخلـت الحـمام معـي وأخذت تدعك جسدي بالصابون ومواد أخرى٠

ازدحمت الأشياء في غرفتي وكانت دراستي موفقة نجحت من الصف الثاني وعند نيلي المتوسطة، أقامت حفلا لابن أختها المتفوق في دراسته وجمعت بعض زميلاتهـا وأولادهن

١ ـ

بعد الحفل التعب دفعني إلى التمدد في فراشي بثيابي ودخلت هي الحمام٠ لا أدري هل نمت٠ كانت تقف على باب الغرفة٠

دخلت الثانوية واخترت القسم العلمي، زادت مهامها العملية في الجامعة إذ تجعلها تتأخر فتقدم إلى مديرة المنزل الغداء، مع الوقت اعتدت إذا عدت من المدرسة النوم حتى إذا عادت نتغذى معا٠

اجتزت المرحلة الأولى بنجاح ، والدتي توفيت وزوجها نسيني أخوتي يقابلونني بتحفظ فأنا أخوهم من الأم، شعرت بحزني كنت في غرفتها هي تراجع أوراقها خلف مكتبها، وأنا أرقد في فراشها بعد أن أنجزت كتابتها أندست في الفراش أنفاسها حولي كانت تحدق في سقف الغرفة٠ الأرض تميد بي إنها تبكي .

في الصباح تابعت استعدادي للخروج، لما عدت من المدرسة وجدتها قد أعدت الغداء في المساء أشرفت على استذكار واجباتي ، بعد المغرب خرجت عادت متأخرة كنت أجلس وحيداً أمام التلفاز ٠

٢ ـ

حصلت على الثانوية بتفوق أهلني لدخول الجامعة، استخرجت لي جواز سفر كما حصلت على مشهد بأني محرم بصفتي ابن أختها. حتى نسافر إلى الخارج٠

٠٠عرفت أنها حامل من زيارتها للأطباء تأخرنا في العودة حتى ولدت ، أخرجنا شهادة ميلاد للطفل بأسمى واسم امرأة أخرى لقاء أجر مالي٠ تم اعتماد في إصدار جواز سفر للوليد، في هذه الأثناء كانت تتصل بزميلاتها ومعارفها إنها عثرت على الطفل الذي تحلم به وتسعى لتبنيه .

التحقت بالجامعة ولما تخرجت سعت إلى زواجي من ابنة زميل لها وابتعاثي عن طريق الجامعة ، بعد عام على البعثة لحقت بي كانت في إجازة تفرغ علمي ، قدمت لي مفتاح خزنة تخصها في البنك الذي تتعامل معه ، ولما اطمأنت على ذلك عادت

حمل الهاتف خبر وفاتها قطعت دراستي وعدت مع زوجتي ، جاءت شقيقتها وأقارب لأول مرة ألقاهم .

٣ـ

الابن الذي كان في السادسة أدخلته قبل موتها مدرسة خاصة، يدور تائها بين الحضور.

تذكرت المفتاح فأسرعت إلى مبنى البنك ، كانت وثائقها المالية وغيرها داخل ملف رتبته بعناية تامة لشعورها بالموت٠ دونت مجموعة من أسهم تملكها في شركات مختلفة باسمي واسم زوجتي، كما تنازلت عن أرض في مخطط جديد عن طريق المحكمة لي وحولت ملكية العمارة باسم ابنها وتركت جزءا من تركتها لشقيقتها وباقي الورثة من الأقارب .

حاول بعض الأقارب الطعن في تصرفها، غير أن صحة الوثائق وتقدير الجامعة ومعارفها لدورها الحياتي والعملي أحبط كل محاولة، رفضت زوجتي احتضاني لابن السادسة فاعتذرت عن إكمال البعثة.

قال ناصر: وها أنا بعد عشرين عاماً مع ابني ندير مؤسسة علمية تحمل اسمها٠

تحقق الوهم، أبرزت شاشة الصراف الآلي عند سحبه خمسمائة ريـال مـن حسـابه أن رصـيده عشرون مليون ريال هذا ما أكدته الورقة التي تكشف الحساب بعد أن كرر تـدقيق أرقامهـا، وهو يجلس في سيارته يتابع حركة الشارع بنظراته الزائغة.

في التاسعة من صباح اليوم الثالث كان يقف في طابور يتكون أمام شـبابيك الصرـافين جـاء دوره بعد نصف ساعة خرج من غرفة مدير البنك يحتضن كيس من القـماش بداخلـه ثمانيـة ملايين ريال ، اتجه إلى بنك آخـر وفـتح حسـاب جديـد أودع فيـه سـتة ملايـين ريـال دس المليونين ريال الباقية في مخابئ داخل السيارة ، في المساء أنهى صفقة شراء منزل بمساحة أكبر في موقع أفضل ، خلال أيام أثثه بفرش جديد ثـم انتقـل إليـه بأسرتـه ، لم يتغـير سـلوكه ولم ينقطع عن عمله ولم يلاحظ زملاء العمل أي تغير في تصرفاته.

بعد شهر سحب ثلاثة ملايين ريال وسافر إلى مدينته القديمة الطائف، زوجته التـي لا يخفـي عنها أبسط أموره أوهمها أنه في مهمة رسمية، قام بشراء منزل جديد ثم أخـذ غرفـة في أحـد الفنادق وأخلد للنوم.

في مساء اليوم الثاني أخرج من بين أوراقه قصاصة تحمل أرقام هواتف أصدقاء قدماء بقـدم نشوء المدينة جاء صوت بدريه لم تعرفه ، سعت إليه منذ عام في حل مشكلة مالية فلم يتمكن ، أستمع حتى أنهت عتابها أخبرها أنه جـاء لمسـاعدتها، الهـاتف الأخـر لا يعـرف صـاحبته سعت إليه عن طريق أحد الأصدقاء لمسـاعدتها في حـل مشـكل حـدث في العمـل تـردد في

استدعائها جاء الصوت مختلفا، عرف أن الهاتف لأخرى بادلها الحديث طلب منها إبلاغ سامية بأهمية محادثته.

أخلد للنوم حتى سمع أذان العشاء يرتفع الظلام يخيم على الغرفة ، أرقام متعددة على هاتفه الجوال كانت زوجته تبحث عنه وابنه يحتاج نقود لتأمين مراجع للجامعة وابنته المتزوجة تطمئن عليه ، وسامية سألته عن أمره بعد أن انتهى أشكالها بمجازاتها على خطأ لم ترتكبه.

اتجه إلى وسط المدينة حيث أقام ، تجول دخل المقهى الذي أعتاد ومع صوت الشيشة ورائحة الجراك أخذت الصور تتحرك.

في التاسعة صباحا كان يعانق أحد الأصدقاء في مقر عمله القديم، ذكره بمشكلة سامية طلب ملفها ورفض مساعدته حتى يلبي دعوته للعشاء، وافق بشرط إعادة الاعتبار لها حتى تتجاوز شماتة زميلاتها.

بعد العشاء أخذ صورة من قرار إلغاء الإجراء السابق بحق سامية هاتفها طلب منها مقابلته قبل ذهابها للعمل اعتذرت بأنها ترافق إخوتها أثناء خروجهم للمدارس أقنعها بالتأخر ، انتظرته أمام متجر لا يبعد كثيرا عن مسكنها ، بادرته بخوفها من توبيخ مديرتها ، أخذ يضحك بعد تجاوز الحي نزع الغطاء عن وجهها ٠

انزوت في المقعد حزنت من تصرفه سهمت بنظرها بعيدا ، سألها عن مقر عملها أجابت وهي ترصد الطريق ، دس في كفها الرابضة على فخذها صورة قرار عودتها لعملها السابق لم تلتفت لحركته ، أوقف العربة أصر على أن تقرأ الورقة ،صرخت من المفاجأة أخذت تقبله ٠

نبهه صوت بدريه أخبرته بأخذ ورقة لمراجعة المركز الطبي ، لمحته جاءت مرتبكة غطاء وجهها الشفاف يشف عن جمالها ، بعد أن استقرت بجواره سألها عن أحوالها جاءت ردودها مقتضبة حدثته عن زميلاتها في العمل ومرض والدها الأخير ، تجاوزت الأربعين ولم تتزوج رنة صوتها الشدية فيها حزن .

أوقف العربة في ظل شجرة وسط شارع حفت جوانبه بمحلات تجارية ، سحب كفها المندسة بين ثنايا العباءة وطوق معصمها بأسورة من الذهب رفعت يدها إلى مستوى نظرها لمح ابتسامه صغيره كست وجهها.

دخل إحدى غرف مقاهي طريق الشمال ، طلب من النادل شيشة وبراد شاي أخذت تتحدث عن أمراضها التي لم يكتشفها الأطباء ، وعن معاناة والدها من تصرفات إخوانها ومع الحديث عرف أنها تدفعه لمضاجعتها تجاوز القلق بضمها ضاحكا أخذت تشاركه الضحك وانهارت مقاومتها تمدد الاثنان على فراش الغرفة .

في الفندق تناول الغداء مع صوت زوجته، في الثامنة كان يتناول العشاء مع سامية التي دعته بحضور زميلة لها إلى مطعم للأكلات الأجنبية، من خلال الفندق حجز على رحلة العاشرة ليلا،

جاء صوت بدريه تخبره بسفر والدها للعلاج ومرافقة شقيقها الأكبر أخذت تشرح كيف حول إلى المستشفى في العاصمة ورفضت أمها السفر معه، طلب منها محادثته عند العاشرة صباحا لتواجده مع أصدقاء في عشاء خاص. جاء صوت زوجته تشعره بأن الهاتف لم يتوقف عن الرنين. يبحثون عنه، تخيل ذلك وهو ممد في الفراش بعد عشاء صاخب مع ثلة من الأصدقاء.

التاسعة صباحا نهض من النوم، وهو يتناول الإفطار في مطعم الفندق جاء صوت بدرية، طلبت منه أن يحدثها عن سهرته، أخذت تحاصره بالأسئلة غير أنه تركها قلقة بضحكه من سذاجتها. خرج من الفندق تجول في الشوارع ، ومع صلاة الظهر سلم حارس مقر بدرية مغلف بداخله نقود وقلادة ذهبية تحمل تاريخ اليوم والحرف الأول من اسمها ، جاء صوتها مرتبكا دخل أحد المقاهي خارج المدينة ، طلب شيشة ومياه غازية .

في التاسعة ليلا كان في بهو الفندق سلمه موظف الاستقبال بطاقة صعود الطائرة تناول فنجان قهوة منتظرا تسديد تكاليف إقامته والسائق الذي يوصله للمطار في الواحدة صباحا

دخل المنزل ، الهدوء يخيم على الجميع ، دخل في الفراش تنبهت زوجته قالت بصـوت خـدر وصلت، أعطته ظهرها وواصلت النوم٠

(الشرى : داء يأخذ في الجلد أحمر كهيئة الدراهم)

والشرى :الحنظل

الـذئبـة

في تحركي بين وقت وآخر بحثا عن ابنتي وأختي الصغرى ٠ أجدها أمامي تركز بصرها علي٠ وإذا عرفت أني لمحتها حولت نظرها مبتسمة.

سألت مرافقتي في الحفل عنها ، أنكرت معرفتها . فأخذتها إلى حيث تجلس فلم نعثر عليها ، كان مقعدها فارغ.

انتهى حفل الزواج . وتقاطرت النساء خارجات من قاعة الأفراح على نداء الرجال عند البوابة، جاء صوت شقيقي، غادرنا الحفل، أوصلنا مرافقتي لدارها.

سيارة زوجي واقفة، فتحت باب الشقة، كان نائما في الفراش وطفلي الصغير بجواره. بعد أيام وأنا في عيادة الأسنان بالمستشفى العام، وجدتها، جلست بجوارها، لم نتبادل الحديث، كان دوري يسبقها، لما خرجت من عند الطبيب لم أجدها، كان مكانها فارغا.

زوجي داخل سيارته في مواقف المستشفى يتصفح جريدة، لم نتبادل الحديث أوصلني للدار ثم عاد لعمله، ابني نائم وكذلك طفلتي، عاملة المنزل في المطبخ تجهز متطلبات الغداء.

في البارحة أنا وزوجي وبنتي وابني، كنا نتسوق في المركز التجاري. لمحتها تدفع أمامها عربة التسوق، أخذت أدقق في تفاصيل جسدها ٠ إنها أنا ثوبها، عباءتها، وغطاء الوجه الشفاف ٠

شعرت برعشة تسري في جسمي٠ أمسكت بيد ابنتي وعدت للسيارة ، جاء زوجي يدفع عربة التسوق ، كانت تسير بجواره حاملة ابني ، فتح مخزن السيارة الخلفي، ثم فتح باب

المقعد الخلفي ، تعلق ابني برقبتي من الخلف ، ابنتي نزلت تساعد والدها في ترتيب المشتريات ٠

دخل زوجي العربة، مد نحوي ورقة حساب ما تم شراؤه وهو يستوي جالسا خلف مقود العربة، لم أرفع كفي لأخذها كما هي عادتي في تدقيق فواتير الشراء.

ركز بصره علي، دس الفاتورة في كفي الرابض على فخذي ٠

شعرت بحرارته، ابنتي تجادل أخاها على علبة حلوى رفض اقتسامها معها٠ تحركت العربة.

زوجي يتحدث ، تجاوزنا عدد من إشارات الطريق .

ونحن ننعطف يمنة حتى ندخل شارعنا تنبهت من خواطري، زوجي يهم بإغلاق راديو العربة ٠ ابني وجهه ملطخ بالحلوى ٠ ابنتي منزوية في ركن المقعد وقد حسر الثوب عن فخذها٠

فتحت أبواب السيارة الأربعة ٠ دخلت الدار وخلفي الجميع ٠ أسرعت عاملة المنزل إلى العربة لإنزال ما تسوقنا٠

وقفت أمام مرآة خزنة الملابس أبدل ثوبي ٠ كانت تقف بجواري ضاحكة ، حاولت تقليد ضحكتها فنبتت لي أنياب ذئبة٠ غطيت وجهي بكفي وأخذت أبكي٠

العـــــون

كان علي أن اركض حتى لا يتوقـف نبض الحياة في شراييهم٠ وفي الصباح أسعى إلى زرع بسمة فرح داخل أسرتي الصغيرة ٠

قالت شقيقتي: إن أبن خالتي بثوبه القصير وذقنه المشذبة وعباءته الذهبية الفاخرة، حصل على سيارة فارهة، ونصف مليون ريال، عـون لتأثيث منزل أبنه المتزوج حديثا٠

قال أبني المريض، ونحن في طريقنا للدار، التي مازالت مرهونة في دين بسبب حالته الصحية، اليوم سوف تمطر السماء٠ حدقت فيه مشدوها ولم أعلق٠ في التاسعة ليلا وهو يقرأ أخبار ناديه الرياضي في صحيفة صفراء لفظ أنفاسه، بينما كانت السماء تمطر في الخارج ٠

الخـادمـة

سرى قلق وحزن أسود في أعماقهن وهن يتناثرا في مدينة جديدة للعمل ، كان حزنها أشد وطاءه من معاملة أحد رجال الشرطة ، وهو يقارن بينها وبين صورتها في الجواز مركزا نظرة عداء ، دفعتها للانزواء خلف أخرى ٠

جاء سيدها كانت الثالثة من ثلاث تأخر استلامهن ودعت الاثنتان في العربة وجدت سيدتها تجلس في المقعد الخلفي، التقت نظرتها الوجلة بعيون السائق في مرآة السيارة ٠

داخل المنزل وبعد أن تخلصت المرأة من ملابسها السوداء، أخذت تتفحصها جاء من أبواب الغرف، طفل في الرابعة وبنتان تكبرانه، تعلق الطفل بها شع في داخلها فرح ٠

الصمت

تداعت الصور لمحه في باب المسجد يمسح دمعه بطرف غترته وقد غطى وجهه بطرف عباءته المذهبة، وفجاءة أطلت في الثانية عشر من عمرها، ريانة الجسد التصقت به عانقته، كفه تلامس مؤخرتها٠

تنبه من النوم أخذ يستعيد حلمه، يعرف الرجل الذي يبكي الظلام يخيم على غرفة النوم، لا يدري كم هي الساعة، زوجته مازالت أمام التلفزيون، صوتها يصله تتحدث في الهاتف، اغمض عينيه عاد للنوم ٠

جاءت والدته التي توفت منذ عشر سنوات توسد فخذها نور بهي يملأ الغرفة، أصابعها تعبث بشعره لامست أناملها أثر ورم صغير في مؤخرة رأسه، أخذت تتحسسه غفي، سمعها تتكلم كانت الطفلة تجلس أمامه تصب القهوة لوالدته ٠

فتح باب غرفة النوم، تنبه شعر بغصة في حلقه، أخذ يغالب الاختناق، تذكر أن والدته كانت تتحدث، لكن صوتها كان غائبا وتذكر أن الطفلة لم تصب له فنجان قهوة٠

أسرع إلى براد الماء، أخذ يقاوم اختناقه بالماء المثلج، جاءت زوجته، أخذت من يده كأس الماء، سحبته إلى غرفة النوم وتركت الباب مفتوحا ٠

الأرض

توفرت وسائل النهاية، حيث لم يبقى للسلام باب، مع انتهاء العام الثاني على كف يدي عن العمل، وإيقاف راتبي بعد خروجي من السجن الذي دخلته اثر دعوى

كيدية تضامن أطرافها، حتى تردعني عن المطالبة بحقوق أسرتي، الذي استباحها ثلة من التجار، فكان بناء المدرسة على أرض تم الاستيلاء عليها غيلة ٠

أخذت زوجتي معي، وتركت طفلي الذي ولد وأنا في السجن عند والدتي الأرملة، واتجهنا إلى مبنى المدرسة ٠

كان أذان العشاء يرتفع، وبعض المارة في الشارع، تمهلت حتى وازنت الباب المغلق وزدت الضغط على دواسة البنزين جمحت السيارة، توسطنا حجرات المدرسة التي بنيت على شكل حرف (يو) الإنجليزي ٠

تداخلت أصابع كفي اليمنى مع كف زوجتي اليسرى، شملنا صمت، أشعلت قداحة السجائر ٠

رغـبه

جاءت الوظيفة خارج مدينتنا، في قرية تابعه لمدينة أخرى اتفقنا على السكنى معا ٠

في مساء يوم التسوق، شيء شدنا في سائق سيارة الأجرة الذي أوصلنا إلى المنزل ٠

طلبت منه التي ساعدته على ترتيب مشترياتنا في الممر أن يشاركنا العشاء ٠

ورده

تنفي إدارتنا ما ذكره السيد م ٠ ص بأنه دفع قيمة عشاء مستشار الإدارة وحرمه وشقيقته الآنسة ورده، التي أصرت أن تمضي بقية الليلة الماضية برفقته، حيث عرف المستشار بسفر زوجته للاطمئنان على صحة والدتها ٠

سعادة المستشار ذو خبرة وسيرة حسنه، تعاقد مع الإدارة منذ عشرين سنه، قدم فيها مقترحات وأراء، طور أداء الإدارة، التي حصلت على شهادة (الأيزوا) العالمية٠

ألم

تقطعت أنفاسه والعرق يتصبب بغزارة، كانت هي ٠ أخذ يركض، شاهده أحدهم، لحق به، وتبعه الآخرون ٠ فتح عينيه، نهض من الفراش، وجدها في غرفة الأطفال ٠

غفـــوة

تمدد في مقعده أمام شاشة التلفزيون، يتابع أحداث مباراة بين فريق النادي الذي يميل إليه وفريق ناد أخر ٠

فريقه مهزوم بهدف جاء في الدقيقة السابعة، سيطرت عليه لحظة خدر فنام ٠

شع نور من سقف المنزل، طار كما يحلق النورس، حوله صوت أطفاله الثلاثة وزوجه، أدرك أنه وصل، دفع بوابة أمامه ودخل، فانهالت عليه عيارات نارية من كل مكان، تنبه على صراخ أطفاله وزوجه ٠

كان فريق ناديه المفضل يسجل هدفه الثاني، تلفت حوله لم يكن هناك أحد ٠

الــرابع

نجلس على حافة الطريق المؤدي إلى الثما مه ، توقفت عربة وأطل قائدها ، سلم ثم قال أكمل الرابع ٠

لم ينتظر ردنا، ترجل وجلس، أخرج من جيبه ورق اللعب ٠

أصر على الاعتذار ، حذره مرافقه سوف تدمرك ، لم يهتم وقف على بعد من الخيمة التي تضمها مع باقي أسرتها في منتزه والعاب الشعلة الصحراوي جاء رجل عجوز يسأله وأخر شاب ، قال ما حدث رهان مراهقين أثناء مرورنا أمام محل بيع العاب وتحف ، بالمصادفة هي الضحية التصقت بمؤخرتها وكأني أسعى للاقتراب من البائع ، أخرجت رأسها من باب الخيمة جاءت منفعلة ولما سمعت اعتذاره عادت ٠

قالت لزميلاتها في حافلة العمل ، كان لا يدفع عن نفسه أنهلت عليه صفعا وركلا وخلصنه الواقفات للتسوق ، تداخلت واحدة تجلس في المقعد الخلفي انه أخي ، خيم صمت حذر على الحافلة التي وصلت مقر العمل وتناثرن بين الممرات والمكاتب٠

لما اكتشف إيلاف إن الحزن الذي مزق أيامه الأخيرة، جاء بعد إدراكه أنه لا يعرف هدفه، فقد كان يسير مقتادا من والد يدفعه للنجاح ويوفر له ما يريد وأم سريعة الغضب دائما صوتها مرتفع ٠

جلس هذا الصباح على رصيف الطريق العام الذي اعتاد وبجواره مذكراته الجامعية، وأقبلت شاحنة انتصب واقفا ولما اقتربت ألقى جسده الذي لا يملك بين عجلاتها ٠ &

الـبياض

تداخلت الأصوات في المذياع، حرك المؤشر، لم يهتم بالسيارة التي حاذته من أليمين، عند التوقف بسبب الضوء الأحمر ٠

التقط وهو يحرك مؤشر المذياع صوتا نسائيا يتحدث عبر هاتف شعر بالملل من الزحام، فأخذ يمص إبهام يده اليمنى ٠

قالت المتحدثة في الهاتف (أما زلت تمص إصبعك كالرضع) مرت العبارة بدون أثر، سوى أنها عاودت ذلك وهي تنبهه (أنت ٠٠ أنت) تلفت حوله، كل العربات التي حوله ذات زجاج مجلل بالسواد، تغير لون الإشارة، تحرك ٠

عاد التشويش واختلط أصوات الإذاعات أغلق المذياع، الإشارات الخضراء تتوالى أوقفه حاجز شرطه، أخرج هويته ورخصة القيادة ٠

طلب منه رجل أمن مغادرة العربة، عليه أن يقطع الطريق المز فت حتى يناقش رجال الشرطة، المكومين حول عرباتهم في الجانب الأخر من الطريق ٠

عند خطوته الأولى انطلقت عربة تحمل أرقاما أجنبية، مرقت كالسهم فوق جسده لطخ الدم الإسفلت الأسود ٠

زرع إبهامه في فمه أطل وجه أمه باسما، هم بإخراج إصبعه من فمه غير أن انطفاء أنفاسه، جعل صورته التي أخذتها أجهزت الشرطة، بفم مفتوح وإبهام معلق في فضاء ابيض، لم يستطع محللي الصورة معرفة سببه ٠

الطـــائف

هبت عاصفة قوية محملة برمال الصحراء، وأشياء انفصلت عن جذورها، فقدت الرؤية أخذت تتلمس ما حولها، التصق بها أنستها حرارة العناق قلق اللحظة ٠

غادرت المكان تتحسس طريقها إلى القافلة، دخلت الخيمة التي تضم أسرتها شاركتهم الحديث، ولم تلمس فيهم أثر العاصفة التي حاصرتها في الجبل ٠

على مشارف الطائف توقفت القافلة مرة أخرى، جلست مع مجموعة من النساء على مبعدة، خاطر دفعها للوقوف وأمام صمت مرافقاتها أنداحت في ظلمة ما بعد الغروب، خطواتها تركض بين أشجار كثة، أنفاسه تملأ المكان ٠

تنبهت على هرج مرافقاتها وهن يتدافعن، استجابة لنداء رجال القافلة، لتناول طعام العشاء ٠

انفجار

في العاشرة ليلا والمركز التجاري يعج بالمرتادين، دخل يحمل علبة مياه غازيه وجلس على أحد المقاعد ٠

تبسم لطفل في الرابعة وقدم له علبة المياه، تابع الطفل حتى عاد لمجلسه بين نسوة حولهن أكياس المشتريات ٠

غادر مكانه وركب سيارة تنتظره أمام البوابة رقم واحد بعد تجاوز إشارة المرور المحاذية للسوق دوى انفجار ٠ &

اصطفـاء

عدد موظفي المؤسسة التي يقودها يتجاوز آلف وخمسمائة موظف وزع صلاحياته الإدارية والمالية، بين مد راء عاميين ورؤساء إدارات وأبقى النواحي القانونية تحت إشرافه، ومع كل هذه المشاركة كان الأمر يعود إليه، من خلال إدارة دائرية المسار

حريص على بيانات الإحصاء فكانت الإدارات تدفع المراجع إلى تقديم عشرة استرحامات حتى يصرف حقوق مالية، تعاقدت المؤسسة معه لتنفيذها لمشاريع في جزر واق ألواق، أو ربط البحار السبعة بخط حديدي ٠

ذات مساء والقائد يتناول طعام العشاء مع ثلة من الأصدقاء، لمح محاورة في برنامج تلفزيوني، تقارب اسمها مع اسم أحد حضور العشاء فكان أن اقترح تكليفها بعمل بحث، عن جدوى أسماك المياه الحلوة، تناسب المشروع مع تقاسيم وجهها، الذي يلفه غطاء أسود تبدى كدائرة بيضا ويه ناصعة ٠

أتصل بها مدير مكتبه وغدا حلقة الوصل حتى كان لقاء لشرح نقاط الدراسة، تولى مدير المكتب فيه دور الحارس ونادل العشاء، في المقر الصيفي لمكتب المؤسسة ٠

استطاعت بوعيها العلمي أن تكون مستشار غير متفرغ، لتكتشف أن جميع موظفي المكتب الخاص، ينتمون لعائلة المدير وثلاثة من البدو، دورهم الظاهر / سائق / وحامل حقيبة / ومنسق مواعيد ٠

مارست حقوقها المشروعة، في اصطفاء جانب اكتشفته بعد عشرين عام من الدراسة العلمية، وعشر سنوات من الوظيفة فقدت فيها زوجها فعادت إلى غرفتها في منزل الأسرة ٠

تهتم بابنها وتنمي أبحاثها، فكان تجاوز الآخرين المحطة التي حصرت طموحها فيها وإذا بها وحيده، جاء الاصطفاء لينقلها من وهم بدون معالم إلى حقيقة الواقع،

حصلت على أرض شيدت عليها مسكن، وساهمت في مخطط عمراني خارج مدينة الرياض حددت ربحها ومساهمتها بمجموعة من قطع الأراضي، التي سورتها لتكون مزرعة واستراحة ٠

خزنة غرفة نومها تحفظ وثائق هامة تمنحها الأمان، الذي لم تفقده حتى وهي ترعى والدتها بعد وفات والدها ورعاية ابنها، الذي وجد في جدته الحضن الدافئ الذي فقده عندها ٠

وهي في طريقها لمقر عملها، أخذت تقلب جريدتها التي تنشر مقالاتها ودراساتها كانت الصفحة الخامسة، تتحدث عن تسمم غذائي في عدد من المواقع، سياق الخبر يتجه إلى المؤسسة التي ترتبط معها بعقد عمل مستشار غير متفرغ ٠

طوت الجريدة والسائق يتوقف أمام بوابة الكلية التي تعمل بها، ترجلت تركت الجريدة على مقعد السيارة ٠

فـــريج

لم أفكر في صورة المستقبل، وما سوف تكون عليه الأيام، فقط أحيا اللحظة التي تأتي من خلال معاش يومي معتاد، لا يحمل المفاجأة من عمل في دائرة حكومية ٠

تأخرت في مغادرة معهد الإدارة العامة فرع جده، الذي أتدرب فيه منذ عشرة أيام، حتى يكون وصولي للطائف متناسب مع خروجها من المدرسة٠

اعتدت هذا الأمر وكانت سمر تعرف نظام مواعيدنا فلا تحرص على مرافقتها في العودة للمنزل، إذا كان حضوري٠

بين كوم العربات المنتظرة تداخلت عربتي، الوقت بطيء، ومعلمات وطالبات الثانوية يدلقن من بوابة المدرسة الموارب٠

جاءت كما هي تعانقت أصابعنا، أخذت طريقي إلى الخروج من آتون الموقف، لم نتبادل الحديث حتى غادرنا المكان٠

أمام باب المنزل ترجلت ، على أن نلتقي بعد غروب الشمس ، وفي المساء وأنا في مكتبي بمؤسسة العقار التجاري التي فتحتها باسم زوجتي حتى أوفر موردا أخر، جاء صوتها معتذرا ، فقد جاءت شقيقتها المقيمة في الظهران مع أطفالها وزوجها لقضاء الإجازة التي حصل عليها ، وعلي أن أحضر في العاشرة ليلا ٠

تأخرت في المكتب ، وما أن كانت العاشرة ليلا ، حتى كنت أترجل من عربتي في شارع مجاور ، اقتربت من باب المنزل الموارب ، دخلت لم يكن هناك أحد وسمعت حركة في رأس السلم ، العتمة تحيط بالمكان ، صوت مختلف تكلم توقفت عن الحركة ، هبطت الدرجات واتضحت قسمات القادمة ، كانت سمر التي تعرف أمرنا ، اعتذرت بأن ريم ذهبت مع شقيقتها الكبرى للمستشفى لمعالجة أحد الأطفال، أنفاسها تلفحني الموقف يرفض التنازل ضم بيت الدرج عبثنا ٠

- ريم -

انتهت مدة التدريب، وانتهى العام الدراسي وظهرت نتيجة الاختبار، كانت ريم ساقطة في مادة الأحياء، أخذت تبكي عبر الهاتف ولم تنسى فشلها والحديث عنه في كل لقاء، حتى توفر لها معلم يساعدها على استذكار درسها ومراجعة معلوماتها ٠

تباعدت مواعيدنا، وسافرت في رحلة عمل لمدة شهر إلى القاهرة، عضوا في لجنة تعاقد مع تخصصات هندسية للعمل في عدة إدارات تابعة للوزارة التي اعمل في إحدى إداراتها مدير مالي ٠

في رحلتي تزوجت ريم متخلية عن طموحها الدراسي، مددت مهمة العمل شهر أخر حتى أنجز ملفات الأشخاص المختارين وتأمين سفرهم ٠

لما عدت تداخل حزن عميق في تفكيري لم أجد له تفسير، بعد أشهر جاء صوت ريم يطلب مساعدة والدتها في استخراج صك شرعي توكل فيه أحد المحاميين متابعة حقوقها لدى وزارة المالية عن أرض استولى عليها إحدى قطاعات الدولة، كان اللقاء في باحة المحكمة ٠

مترهلة الجسم تحمل مسحة جمال وشبق امرأة، ركزت نظرها علي وهي تتبع إشارة فتى يسير بجوارها، وخلفهم رجل أسمر اللون ممتلئ الجسم ملابسه بيضاء ناصعة ٠

- فـرج -

بعد أيام جاء الرجل الأسمر يبحث عن وظيفة سائق، عرفت أنه من خلال أخته التي تقيم بجوارهم، يستفيد أفراد العائلة من خدمته لامتلاكه سيارة أجره الواسطة ريم تذكرت لقاء العتمة، سألته عن سمر عرفت أنه يوصلها للمدرسة وكذلك يوصل عبد العزيز الأخ

الأصغر الذي شاهدته في المحكمة، أخذت أوراقه ورقم هاتفه، طلبت منه المراجعة بعد عشرة أيام، كان مستعجلا التوظيف، جاء صوت ريم التي أنجبت منذ أيام ولدين توم يرجوني مساعدته ٠

– سمر –

اتصلت بفرج الذي تردد في قبول عمل مراسل في مكتب فرعي للإدارة خارج الطائف، قرن قبوله بوصف المؤقت حتى لا يبتعد عن أخته الأرملة نوره، كان يكذب عرفت ذلك من سمر ٠

– نوره –

أقامت نوره عشاء خاص لزوجها حظره المدير العام، الذي عانق ابنتها الوحيدة ذات السنوات العشر، وعرفت أن زوج نوره يعمل في قصر أحد الأمراء بالرياض وان أقامتها في الطائف لمجاورة والدتها المريضة ٠

– عبد العزيز –

قام فرج بدعوتي ومجموعه من الزملاء، لحفل عشاء بمناسبة نجاح عبد العزيز من الثانوية العامة، ريم التي اختفى أثرها حضرت لتشارك عزاء والدها الذي مات فجاءه تعرفت على زوجها أثناء العزاء، بعد أيام علمت من فرج أن والد ريم، أقام مصنعا للخمر في إحدى غرف الورشة التي يشرف عليها لصيانة معدات وسيارات المستشفى الذي يعمل به، يشاركه في ذلك مدير المشفى الذي أوقف عن العمل بسبب عجز مالي وسندات مزوره عثر عليها في خزنة المكتب ٠

- ٠٠٠٠ -

طلبت ريم إيصال سمر إلى جده حتى تسافر إلى لندن ملتحقة بزوجها

جاء جلوسها في المقعد الخلفي، وطفل في السادسة بجواري يرافقها الطريق، وأنا أزود السيارة بالوقود انتقلت للمقعد المجاور، ونحن نلج جده اخترت طريق الكورنيش واستأجرت غرفه في فندق يطل على البحر تمددت في الفراش، الطفل خرج إلى باحة الألعاب بعد تناول العشاء في العاشرة ليلا كنا نقف أمام بوابة منزل محيطه سياج من الأشجار ٠

عدت للغرفة في الفندق، نمت بملابسي رائحة سمر تملا المكان، تحت المخدة قارورة عطرها ورباط شعر أبيض، في الصباح وأنا أستعد للعودة في أرضية السيارة مظروفا بداخله عدد من صورها العائلية، كان فيها زوجها الذي اكتشفت أني اعرفه وباقي أخوتها لم أجد ريم ولم أجد والدها، تناولت الغداء في مطعم الفندق٠&

الغـــانية

تبذلت الحكايات ونفق الصدق، زمن جد لا يحمل هوية تراقص فيه أشباح تريـد سيادة من ورق، أوراق الأشجار الجافة تتكوم فـوق أرصـفة منـازل حـي قـروا الفارة المهجورة بعد أن تناثر باقي أفراد أصحابها ٠

وسكن ملاحقها اسر وافده لا يوقف ممارساتها أحد، وان استفاد بعض أبناء الطائف من خدماتها، ولذة مسروقة تمارس في غياب الرقيب ٠

قالت: وهي تحدث الصمت، ولدت في منزل من منازل قروا الفارعة، والدي الأسمر أحد خدم أمير عجوز أتخذ الطائف مصيفا، رشيقة يلاحقني الجميع بنظراتهم وهمسهم، مكانة أبى الخاصة تفرض وجودي في أنحاء المنزل الذي نسكن أحد ملاحقه، وأمي السوداء إحدى عبيد القصر ٠

تفتح جسدي الأسمر بعيدا عن عيون أمي واهتمام والدي، على يد سائق هندي، مارس طقوسه معي عندما ينشغل الجميع عنا٠

في صباح يوم خميس وأنا في الثانية عشر، طلبت مني إحدى سيدات المنزل إحضار صندوق حليها من مخدعها، كان الأمير في الفراش تنبه لوجودي، فجر طفولتي وبهرته تفاصيل جسدي٠

علمت أمي وهمست بذلك في إذن والدي الذي لا يدري ماذا يفعل، وسافر الجميع لم يبقى سوانا وجاء أبى متجللا بعد قلق؛ يحمل تنازل الأمير عن المنزل لوالدي، وصك عتق والدتي، وأمر بموجبه تزوجت أحد حاشية الأمير الذي أقام في أسبانيا لظروفه الصحية، وسافرت إلى زوجي بعد عشر سنوات عدت لرعاية أمي بعد وفات والدي ٠

لم يعد المنزل كما كان، فقد تداعى الترف مارست حقي في إعادة الحياة لجناته رعيت دراسة أختي، وعرفني أخي على أسرة فتى يمني اعتدت مشاهدته كان أخي يرعى طلبات أسرة الفتى، من خلال توثق علاقته بالأب الذي يتعاطى المخدرات ٠

صديق آخى جاء باكيا عصر يوم قبضت فيه الشرطة على والده، احتضنته مواسيه أنفاسه تلفح صدري سكن روعه، قالت أمي بحده، الرجل يستحق السجن جاء أخي وخرج الاثنان ٠

مات الأمير وتفرقت حاشيته، عاد زوجي وطلب مني السفر معه إلى الرياض للعمل في منزل اكبر أبناء الأمير، كان منزلنا في طرف الحي الذي يتوسطه قصر الأمير ٠

احتفظ برشاقة ورخامة في الصوت ومرح ماجن، ذات ليلة قالت زوجة الأمير وأنا أساعدها على تبديل ملابسها بعد حفل موسيقي في القصر غنيت فيه مع الفرقة أني راقصة ماهرة

زوجي استثمر إعجاب الجميع بي لمنافع خاصة، أطفالي تنمو مطالبهم ويتدرجون في التعليم بنجاح مع إهمال متزايد وجهل من والدهم بعد حصول الأمير الصغير على الثانوية سافر لأمريكا للدراسة ولحق به ابني ٠

ذات ليلة طرق أحدهم بابنا، صوته أخافني وزرع في جسدي رعشة الطفولة، كان السائق الهندي عرفت انه حصل على الجنسية وأصبح صاحب شركة مقاولات هامة، جاء من الطائف يسأل عن رسالة بريدية تأخر وصولها من مكتب الأمير ٠

بعد هذه الزيارة، وافق زوجي على عودتنا للطائف والسكن مع أسرتي، أسرة اليماني صديق شقيقي بينهم فتاة عانس تحرص إذا تأخرت والدتها في الجلوس عندنا على الرقاد في فراشي ولبس منامتي ٠

بعد حفل زواج أقيم في صالة أفراح أحيته فرقتي النسائية التي شكلتها، أخذني قائد السيارة التي ركبت إلى فناء منزل مهجور في قروا، كان الحارس ينتظرنا داخلي ارتبك والسائق يأمرني بالنزول جرني إلى غرفة معتمة، اخذ يلعق رقبتي استسلمت لشبقه الحارس الأسمر الممتلئ الجسم يقف بالباب مضطربا؛ أخذت أضحك دفع السائق والتحم بي رائحته تزكم انفي ووجدت معه لذة فقدتها، في الثامنة صباحا كنت أدخل الدار الهاجعة ٠

حول مائدة الغداء تبادلنا الحديث المعتاد، رن الهاتف بادل أخي المتحدث الحوار بصمت، عاد وجلس بجواري قال بحزن أن زوجي الذي يرقد في المستشفى مات ٠

وجدت في أسرة (بنقاليين) شيء من رغبتي في زراعة فناء المنزل والعناية بالنظافة فتحت لها أبواب الجناح الذي ولدت فيه ٠

أختي الجامعية تزوجت سائق السيارة التي توصلها مع زميلاتها للعمل وهجرت المنزل صحة أمي تدهورت أخي الذي يشاركني المنزل رزق بولد من زوجته المصرية ٠

تذكرت السائق الهندي، أخذت سيارة أجره حتى لا يلاحظ أحد قصدي، كان منزله مغلقا وعلى الجدار إعلان للبيع ٠

الشيشة

تباينت الصور متهالكة فالأشياء المبهجة ظلت طريقها وغدا يومي بما فيه من وسائل لا يرتبط بي، قال مشرف برنامج التدريب الذي دخل علينا في أخر محاضرة إن علينا مراجعة العلاقات العامة في المركز حتى نستلم سندات اشتراكنا في البرنامج، فتوزعنا في جنيات المطعم لتناول الوجبة الأخيرة، تعددت الدوائر حول الطاولات دائرتي تناثر أفرادها بسرعة أستمريت جالسا٠

غادرت فناء مركز التدريب إلى مقر السكن حيث تقبع سيارتي الوانيت، التي جاءت منذ أيام مع مبلغ نقدي كدفعة أولى من ثمن أرض بعتها وأنا أستعد لبرنامج التدريب الذي رشحني له رئيس القسم الذي اعمل فيه ٠

مع ارتفاع آذان المغرب غادرت السكن، توقفت عند عدد من إشارات السير، وأمام مطعم شعبي اعتدت تناول العشاء فيه، جاء سألني عن موقف السيارات المغادرة للطائف، قدم من مصر للعمل معلما في مدرسة لتحفيظ القرآن، رحب بدعوتي مشاركة الطريق ودعوته لمشاركتي العشاء، مشى معي حتى السيارة، دخل عمارة متعددة الطوابق وخرج حاملا حقيبة وبجواره امرأة، دخلت وجلس بجوار الباب، عرفت إنها شقيقته وتعمل ممرضة في مستشفى خاص بالطائف منذ سنوات عشر ٠

لم ألاحظ إني أثناء تغيير سرعة السيارة كانت كفي تلامس جسدها، لما دخلنا الطائف ذكرت اسم فندق رخيص، اعترضت ودعوتهم للرقاد في منزلي الذي لم يبقى به أحد سواي ٠

أسرع الرجل إلى الحمام وأرشدتها إلى غرفة الضيوف والمطبخ، اعتدت النوم في الظلام، ألاحق صور أفراد آسرتي ولدي الوحيد يدرس في الجامعة بالرياض وابنتي الوحيدة مع زوجها في الدمام، زوجتي طلقتني لما عاد ابن عمتها من غربة تجاوزت السنوات العشر ليأخذها مخلفا في داخلي بقعة سوداء ٠

باب الغرفة يفتح فجرت سكوني وخدري غرزت أظافرها في جسدي، تأخرت في النوم صوت مؤذن المسجد المجاور أعادني للحياة، في الثانية عشر ظهرا قرع الباب كانت هي دونت عودتها للعمل وأوصلت شقيقها للإدارة التي تعاقد معها حتى يكمل أوراقه ٠

في المكتب عرفت إن البرنامج التدريبي لن يحقق هدفه كما جاء في اجتماع رؤساء الإدارات، إذا لم يتم تجديد أجهزت الحاسب، بعد أيام كنت أبيع سيارة الونيت، طلب مني كاتب عقود البيع بعد توقيع المبايعة اخذ أغراضي من الونيت أدخلت كفي تحت

المقعد جمعت الأشياء في كيس من البلاستيك، وآخذت سيارة أجره إلى مكتب عقارات أشارك في إدارته ٠

وأنا في المنزل أتابع فلم أجنبي في إحدى قنوات التلفزيون تمدد الكيس بجواري اقلب محتوياته داخل مظروف مغلق عثرت على قصاصات ورق بها خطوط ورموز غريبة ونوتة أرقام هواتف تخص الممرضة ٠

بعد انتصاف العام الدراسي جاء المعلم يدعوني لحفل شاي بمناسبة حصوله على جائزة في مسابقة لتحفيظ القرآن على مستوى المحافظة، وأنا أغادر الحفل أخبرتها بأن لدي أوراق تخصها٠

وانشغلت بأموري المعتادة، سافرت لزيارة ابني وقمت بأغراء ابنتي وزوجها بالنقل من الدمام إلى الرياض بشراء منزل حتى تعتني بأخيها ٠

أنجزت بيع عمارة من عدة طوابق لرجل متقاعد من عائلة شريكي في المكتب، الممرضة تسكن إحدى شقق الدور الأرضي، أستلم المشتري العمارة وأحتل مع آسرته الكبيرة الدور الثالث، شريك مكتب العقار خطب ابنة الرجل المطلقة ٠

وأنا اخرج استمارة السيارة ذات ظهيرة لشرطي سير في نقطة تفتيش لمحت أوراق الممرضة التي تقبع منذ زمن في درج السيارة، أخرجتها وواصلت طريقي لتسليمها لها، أخذت الأوراق عرفت أن شقيقها مسافر في رحلة مدرسيه قرع الباب كانت ابنة صاحب العمارة،

رن الهاتف يطلب حضورها لغياب الممرض المناوب، وهي تخرج على صوت منبه سيارة المستشفى لمزتني تدعوني للبقاء، مع القطرة الأخيرة من كأس المشروب كنت أعانق الفتاه ولم أتوقف حتى اقتحمت أعماقها لملمت ملابسها واختفت ٠

الغي عقد المعلم بعد اكتشاف تزوير في إجابات بعض الطلاب، استقبلت ابني وابنتي لقضاء بعض أيام الصيف، شريكي في مكتب العقار تزوج وسافر مع عروسه لباريس،

أقمت حفل عشاء لولدي وابنتي، عرفت آن أم أولادي عادت بعد وفات زوجها من الغربة ٠

قمت بشراء مزرعة صغيره جاء صاحبها للمكتب يعرضها للبيع، قال مراسل المكتب السوداني أن زوج أخته مزارع في أحد القصور، قرر المزارع العمل معي ونقل كفالته إذا تمكنت من ضم زوجته التي قدمت للحج في إقامته ٠

بعد سفر لتفقد ابنتي التي جاءت ولادتها الرابعة متعسرة، وجدت مكتب العقار مغلق، شريكي انتقل عمله إلى جده ويقترح إغلاق المكتب ٠

في المساء وزوجة المزارع تقدم الغداء، أخبرتني إن زوجها وشقيقها خارج الطائف لزيارة قريب تعرض لحادث إطلاق نار أثناء رعيه أغنام في البر، دعوتها وابنتها ذات السنوات الأربع للجلوس، أعدت الشاي ورأس الشيشة لا ادري كيف تمكنت من إتقان حشوه بالجراك الذي احرص على اختياره وخلطه، مددت يدي وسحبتها طبعت قبلة على خدها، تخلصت محتجة واختفت ٠

سافرت في مهمة عمل لمدة شهرين، فكرت في العودة لزوجتي فلم ترحب ابنتي بذلك، الممرضة استقالت من عملها أقمت لها حفل عشاء توديعي في المزرعة حضره لفيف من زملائها٠

زوجة المزارع تجلس علي أحد مقاعد المدخل على محياها الأسمر بسمة، الأبواب مشرعة الطفلة في كرسي مرجحة تضلها من الشمس شجرة عملاقة، السكون يعم المكان ٠

تذكرت الحفل لا أذكر شيء لمحت خلف باب المدخل شنطه يد نسائية فتحتها وجدت قصاصات الأوراق ذات الخطوط والرموز الغريبة وبعض النقود، جاءت أخذت الأوراق والشنطة شممت رائحة حريق كانت الشنطة والأوراق تلتهب فوق شعلة موقد الغاز ٠&

الشريط

اعتادت مشاركتي بمشاهدة (أشرطة الفيديو) التي تتبادلها مع زميلاتها في المدرسة ومن خلال صداقاتها الخاصة، والدتها حذرتها من التمادي في ذلك بينما أختيها الأكبر يناقشنها في ردود الفعل عندي ٠

بعد زواجها ورحيلها بعامين جاء (صوت أختها أمينة) يبحث عن شريط يسجل جزء من حفل خاص، يتبارى فيه مجموعه من الفتيان الملثمين في الرقص على أنغام الموسيقى، تكرر اتصالها عن الشريط وادعت انه يعود لزوجها الذي سأل بقلق عنه٠

هذا الحرص دفعني للبحث في مكتبتي عن (الشريط) ومشاهدته لفت نظري إبداع الفتيان الملثمين في الرقص وتركيز المصور على مؤخراتهم التي تهتز مع نقرات الإيقاع٠

توقف التصوير وانشغلت بإشعال سيجارة ورشف ما تبقى في براد الشاي ليعود التصوير أطفال ونساء يقترب المصور من الوجوه في حركة استفزازية تواجه بصراخ وشتائم بين ضحك وهزل اسري أخذت ادقق في الوجوه (هي) غير موجودة بينما أمها وأخواتها وآخرين تتنقل مشاهدهم٠

يعتم الشريط ثم تعود ألصوره باهتة (وصوت خافت يردد بعد ٠٠ بعد٠٠ بعدين) تكشف ظهر امرأة ترفع سروالها يقترب المصور من عجيزتها وينتهي الشريط، قمت بإعادة المشهد لمعرفة الهمس وتحديد معالم المرآة ٠

أخبرت (أمينة) لما اتصلت بعثوري على الشريط فرحت سألتها عن الحفل ومناسبته تحدثت كثيرا عن زوجها، وأبكاها فقدان والدها الذي مات منذ عام ومرض أمها وعدم استقرارها ٠

تنتظرني بعد الثامنة ليلا عند الباب الخارجي للمنزل القديم المكون من ثلاثة ادوار دفعت الباب الموارب المكان معتم سمعت حفيفا في الدرج جاءت مدت يدها مسلمه همست تسأل عن الشريط٠

وصلتنا حركة وأصوات من الدور العلوي ووقع خطوات هابطه انحنت تلقط شيئا (كانت حزمة مفاتيح) عالجت بسرعة باب الدور الأرضي ودفعتني للداخل، أشعلت النور المكان

رغم عدم وضوحه متكامل التجهيزات (كان سكن زوجة والدها المصرية) التي رجعت لبلدها بعد أكمال العدة، جلسنا بين يديها الشريط ترتدي ثوبا فضفاض قصير ٠

قلت: في (الفلم) لقطه أزعجتني لا اعرف كيف صورت (لم ترد على كلامي) فواصلت (البزران) رقصهم حلو أحسن من البنات (أغمضت عينيها) واحد فيهم كأنه بنت٠

وقفت شد انتباهي (صدرها الصغير وسمنتها) توجهت نحو الباب الأصوات تتواصل ألصقت خدها بالباب تستمع للحديث اقتربت (ملتصقا بمؤخرتها) أشاركها التصنت٠

قالت: (بصوت خافت) أخي وجارنا جاء يخطب أختنا الصغرى٠

عدنا للداخل نترقب رحيلهم وتردد صدى شيئا يقع في المدخل تقدمت إلى الباب فتحته بحذر، وأنا أدخل عربتي التي أوقفتها على مبعدة أكتشف أن الشريط معي٠&

لـم يكن مصدري في تكوين صورة مـرتبكة عن أسرتها مرتبطا بتلك اللحظة التي شاهدت فيـها والـدتها الـتي أوصلتها بناء لطلب منها إلى منزل في حي بجنوب المـدينة تـوبخ بصفات مقـذعة أخـرى علـى تقصير بدر منها، ولم تقنعها الأعذار المقدمة ولا بكاء طفلة رضيعه أزعجها تعالي الأصوات حولها٠

ولـم يكـن مـن خلال شقيقتها التي اقتحمت لحظة فراغ في داخلي في عامنا الأول فضمنا فـراشها ذات صباح بعد تفرق الجميع بين مدارسهم ومراكز أعمالهم وقد أوهمتنـي وأنـا في العمـل بأنها تحمـل رسالة ترغب مني الحضور لأخذها، بينما تجربني ضمن محاولتها الحذرة لأن تكون أما ٠

ولـم يـأتي من مشـاهدتها في محل تجاري أمرتني بالوقوف على مدخله حتى تأخذ فانلة شتوية شاهدتها على إحدى زميلاتها في المدرسة رخيصة الثمن، تتابع حديث البائع بسكينة وهـدوء وهو يحـدق في وجـهها المكشوف بشغف حتى تحصل على مبتغاها من المتجر بالسعر الذي حددته٠

أو ارتباط أخيها الأصغر الطالب في المرحلة المتوسطة بشاب اسود البشرة مـن الجـيران يقضي وقته معه ومن خلاله تجد وأسرتها في الشاب سائق المهام الخاصة، وتوفر شقيقة الشاب المتزوجة من رجل في حاشية أمير عجوز الحماية من ثورة والدها ٠

هـذه الصور لم تزحزحها من مكانها الثاوي في أعماقي لفنانة داخلها طموح نوراني يحقق السعادة فيمن حـوله، ولم تمحي لحظات الوجد التي رعشـناها ما يزيد عن سنوات خمس

رسمت خيوطها في أول لقاء حتى تسلم صورة رسمـتها للمشاركة بها في مسابقة أعلنها النادي الأدبي، حتى كان زواجها وسفرها مع زوجها إلى أمريكا منذ ثلاثة أعوام ٠

إنما كان بسبب الشاب الأسمر الذي توظف أخيرا في إدارتنا ولما عرف موقعي داخل الإدارة سعى لأن يكون في المكتب الذي أديره بدعوتي للعشاء مع مجموعة من موظفي مكـتبه استقبلتني شقيقته التي أدهشتني حيويتها ورشاقتها رغم السنين، عرفت أن الأمير الذي يعمل زوجها عنده توفى وهي بحاجة لعون شقيقها الذي تتحقق بوجوده في مكتبي، من تلك اللحظة تداخلت ألوان الصورة٠

ذات مـساء رن هاتف المنزل وتحدثت لم تكن هي، نبرة الصوت مختلفة ومخارج الحروف التـي اعـتدتها غائبة وان جاء الاتصال في الموعد الذي اعتدناه تـذكرني بالأسماء السرية التي تحملها ومناسبة الأخير (محمد المزعل) الـذي جـاء في رسائلها البريدية، تسألني عن حياتي الخاصة وأفراد أسرتي وحالي المعاشي٠

بعـد ثلاث ليال من المكالمة الهاتفية وفي العاشرة ليلا اقتحم مجلسنا في المقهى الذي أحتل مع ثلة من الأصدقاء لـشرب الشاي وتدخين الشيشة وتبادل الحديث، فـتى ابـيض اللون جميل الملامح يرتدي ثوب صـوف داكن مكشوف الرأس، سلم على الجميع وناولني مغـلفا مغلق ثم غادرنا بين تساؤل الجمـيع لفقت جوابا رغم حيرتي فأنا لم ألتقي الفتى من قـبل وإن جاءت ملامحه مألوفة، قال أحدنا: انه يسكن في حيهم ووالده رجل أمن متقاعد٠

فـي داخـل المغـلف رسالة عشـق تتذكر فيه لحظات لن تنسى بتوقيع (محمد المزعل) الاسـم الـبريدي الذي اختارته لمراسلتي في العام الذي رحلت فيه لما غبت في مهمة عمل خارج المدينة لمدة شهر، وشريط فديو يحوي أغان وموسيقى كنا نرددها عبر الهاتف وفي اللقاء الـذي نرتب مـرتبك التصوير وفي أوقات مختلفة، جـاءت المشاهـدة متقطعـة٠

تـوقفت المـوسيقى وجاء عويل طفل وصوت صرير باب يفتح ولغط نسائي الصورة ثابتة وضـلال تتـحرك لتقف أمام مراءاة كبيرة عكست صورتها وأخرى ممتلئة الجسد تساعدها علـى خلـع ثوبها سروالها الداخلي القصير (شورت) يصـل إلى أعلى الساق احمر اللون

سميك وحـابسة النهود صغيرة بحجم الصدر الصغير ساعدتها المرآة التي لم تتضح معالمها على ارتـداء فستان حفـل الزواج الأبيض ودخلت والدتها، مررت كفـها على الثوب وتناقش الجميع حوله وخلعته لتحمله الخياطة، اختفى الجميع ٠

هناك مـن تـدندن بأغنية وعادت للوقوف أمام المراءاة مازالت بملابسها ألداخليه تتحسس معالم جسدها النحيل المائل للسمرة الشامخ بالطول بخلاف باقي أسرتها، خاصة أن والدتها بيضاء اللـون تمـيل للشـقرة سمينة وقصيرة سمع أزيز الباب يفتح، وصوت أمها يحثها على ارتداء ملابسها ٠

جـاءت الخـياطة اقتربت منها تمرر كفها على الظهر العاري وتساعدها على أكمال ارتداء مـلابسـها ثم التصقت بها عاد أزيز فتح الباب وارتفع صوت أمها مناديـا، ليتعالى لغط انتهى بخروج الجميع من نطاق الصورة٠

وعـاد التصـوير العشـوائي للأغاني وعرض أزياء خارجي في برنامج تلفزيوني ومشهد إخباري قديم يتضمن تعليقا عن فوز فريق النصر الرياضي بكأس فرق أندية الدوري الممتاز يكمل ما تبقى في الشريط٠

تذكرت إنها تزوجت منذ سنوات ثلاث وغـادرت الـبلاد، من حينه ارتبك تواصلي بأسرتها ولـم أعـد اعرف شيء عنها محتفظا بصورها ورسائلها بين أوراقـي فـي المكتب بعـد انـتقال الجميع لمدينة أخرى (بعد وفات والدها) ، والمـنزل المكـون من أدوار ثلاثة مغلق تتراكم حوله النفايات٠

أرهـق التفكـير فيـها جسدي (بعد مشاهدتها في الشريط) وذات عشاء وأنا في الطريق للمقهى توقفت كما هي عادتي أمام مبنى البريد لتفقد صندوق الرسائل، مررت بهاتف العملة المنتصـب على جـدار المـدخل تستعمله أمرآة متدثرة بعباءة سوداء بينما تقف حـذوها عربـة بيضـاء اللـون يدور محركها، لما تجاوزت المرآة والهاتف لامس صوتها أذني فأقشعر بدني ٠

دخلـت لغرفة صناديق البريد ولما عدت تمهلت، يقف بجوارها رجل اسمر اللون يرتدي ثوبا ابيـض وغتره شماغ حمراء عليها عـقال سميك، الأطفال المنتظرين فـي العربة ضـاعت معالـمهم بسبب العـتمة توجهت لعربتي أدرت المحرك وتحركت، عـدت من طريق التفافي إلـى بوابة مبنى البريد لم أجـد المرآة ولم أجد العربة البيضاء٠

رجل الأمن يتلفع بدثار ثقيل (بالطو) من البرد ينزوي خلف المدخل الـزجاجي تجـاوزت الـمبنى، أمام إشارة السير الضوئية التـي يقـبع وراءها المقهى عدد من العربات البيضاء المتوقفة لما اقتربت اشتعل الضوء الأخضر ٠&

فقـر

أين تكمن الحقيقة، وقد سرى العفن في جذوع الأشجار فيبس ورقها وتقصفت أغصانها وأنا أعيد النظر في الأيام السابقة، جاء كتابي فارغا لا شيء فيه٠

تنفست دخان الشيشة فتلوى كما حية ازدردت التراب، تكرر المشهد الذي انتشلني منه نـادل المقهى بحديثه عن المطر المنهمر٠ &

صفـاء

جاء اسمي من الصفاء مع أن لون بشرتي أسود، في ليلة غفي عنها الزمان لمحته يجلس وحيدا ويسطع بياضا في فضاء المكان أخـذ يتحلل في جسدي، مع شقشقة الصـباح سـألتني أختـي بفزع عن تغير لون بشرتي ؟ &

جـيرة

عـرفته ونحن في عامنا الثاني، يأخذ أشيائي ويعـترض طريقي وتخرجنا من المرحلة الابتدائية ودرسنا فصلا واحدا في المرحلة المتوسطة٠

وبعـد أربعين عاما وجدته أمامي تبسم وهو يحدق في سبحة بين أصابعي اقتنيتها مـنذ أيـام، بهدوء سلمتها له وخرجت من المكان٠&

*** جاء اتقاني واجبات العمل في صالحي؛ مما خلق تواصلا ايجابـيا مع رئيس القسم الذي اعمل به، وثقه في المـراجعين أنتجها تعـاملي الطبيـعي المبنـي على أداء مهامي بيسر، وحل ما يعترض واجباتي ألعمليـه بشفافيـة، هذا الأمر ولد تصورا سحريا عنـي فيمن حولي نميته

بدون قصد بعد إصرار مراجع يعتبرني ابنا له عـلى دعوتي للعشاء، علـم مدير الإدارة بالعشـاء فـدعاني لمكتبه وحذرني من استغلال عملي في أمور خاصة، لم أفكر كثيرا في النصيحة التي تعاملت معها بهدوء ٠

ذات ليلة بعد منتصف الليل وفـي أثناء مناوبتي العمل دخل مدير الإدارة المكـتب مرتبكا وطلب مني إعداد كشف بالمراجعين، دقق فيه ثم بعد تردد حذر طلب حفظ أوراق احدهم حتى الصباح وعرضها عليه بسريه ومباشرة وخرج، سرت معه حتى ركب السيارة ٠

تحول عملي إلى الفترة المسائية في محاولة يائس للحصول على شهادة الثانويـة العامة التي وقفت عنها بعـد فشل عامين في اجتياز المرحلة الثـانية، هنا اكتشفت أن في البناء المقابل للمكـتب امرأة تنتظر خروجي وتراقب تحركي أمام المخرج فتسللت ذات يوم وراءها٠

أيضا عرف مدير الإدارة بأني في ليلة سابقه دخلت البناء المقابل، لم أجادله خشية أمر لا أدريه، وفي موعد اختبارات المرحلة الثانية من الدراسة طلبت منحي إجازة من العمل للاستذكار وافـق رئيس القسم وأبـدى استعداده لمساعدتي، وبما إنني مصمم على النجاح فقد تحقق مطلبي واكتشفت عند عودتي للعمل إن امـرأة البناء المقابل غادرت الحي ٠

قال بواب البناء المقابل وأنا ألاطفه باحثا عن سكن لي وقد شعرت إني بحاجه إلى الاستقلال وأهجر منـزل شقيقتي الذي ضمني عاما كاملا تنفيـذا لرغبة والـدتي وعدم مبالاة من والـدي الذي وأد أحلامه في كبديل ليقاوم خلالي زمنا تأمر عليه، طلب إمهاله وسألته عـن ساكـن الشقة رقم ستة فعرفت أنه قام بشراء منزل في شمال المدينة انتقل إليه٠

سألني مدير الإدارة عن سعيي للسكن بعيدا عن أقاربي ودافعه، شرحت له أمنياتي بمواصلة الدراسة وعملي وبعد منزل أختي فقد انبثق المطلب بعد تجاوزي المرحلة الثانية وانـي لا أملك سيارة تقلني، ضحك ونصحني بتعلم القيادة حتى يسلمني إحدى سيارات المكتب ثم دعاني لمشاركته فرحة عقد قران ابنته البكر في حفل عائلـي ٠٠ بعد نهاية الحفل أمر سائقة الخاص بإيصالي إلى منزل شقيقتي أثناء الطريق عرفت أن العريس رجل أعمال وان

العروس تخرجت من الجامعة وتعمل معلمة وان البنت الأخرى سوف تسافر لدراسة الطب حيث يقيم أخوها الذي يدرس منذ عامين بعد فشلة في الالتحاق بالجامعة لتدني درجاته ٠

تعرض المدير العام لوعكة صحية أدخلته المستشفى وهناك قابلت زوجته وابنته، ولما زرته في المنزل الابنة هي من فتح الباب لي شدت علـى كفي ضاحكة لم اهتم بحركتها وان فكرت وأنا أتناول صحن أبريق الشاي من خادمة سمراء لمـ لم تفتح الخادمة الباب، عرفت أن زوجته تزور أمها المريضة وسوف تعود في ساعة متأخرة من الليل، بسبب مادة اللغة الإنجليزية لم انجح في الثـانوية العامة أخبرني المديـر العام أن ابنه الذي يدرس في الخارج لغته جيدة وبإمكانية الاستفادة منه ٠

صبـاح يـوم عمل طلب المدير إحضار أوراق نسيها في المنزل فتح الباب الخادمة، لتطل المرآة التي بهـرني جمالها ورشاقتها وقد لفت جسدها بثوب نوم احمر اللون ودثار من الحرير ربطت وسطها النحيل بحزامـه تحمل ملف الأوراق وأنا أتناوله منها هنأتني بالنجـاح وان ابنها وابـنتها اتصلا من لندن حتـى تبلغني فرحـهم بنجاحي ٠

تخيلت المدير وهو يعاتبني على تأخري بعد أخذه للملف وتقديمه لرجل يجلس قبالته أنه يعرف السبب، تركت الاثنين لأجد في المكتب بواب البناية المقـابلة بلغني أن جناحا صغير فـي المبنى يحقق تطلعي ولن يعترض السكان على تأجـيره، خاصة أن صاحب البناء يحتل الدور الثالث الذي يضم الشقة الصغيرة التي كانت ملحقة بسكنه ثم فصلها بعد زواج أخر بناته وانتقال أبنائه الكبار لمدن أخرى للعمل ولم يبقـ معه سوى زوجته وابن في المرحلة الدراسية المتوسطة وابنة في المرحلة الابتدائية ٠

بعـد مغرب يوم وأنا ألج مدخل مسكني الجديد الذي اعتـدت فيه استعمال الدرج وجـدتها تقف أمام المصعد المرآة التي وافقت انكساري منذ عامين دخلت معها المصعد عرفت أنها ابنة صاحب البناء من زوجته الاؤلى المتوفاة، وان زوجها رجل امن في مهمة خارج المدينة ٠

نمت طويلا وعلى نداء أذان الظهر شعرت بالحركة حولي تذكرت أني أخـذت إجازة من عملي لزيارة أسرتي والتعرف على أهل الفتاة التي اختارتها أمي زوجا لي، ارتديت ملابسـي وغادرت المبنى مضى شهر الإجازة سريعا ورتبت طلب نقل عملي إلـى مديـنتي القديمة أعترض الـزملاء وقررت زيارة المدير العام ألموقوف عن العمل منذ ستة أشهر، احتفى بي واخبرني انه سوف يلحق بابنه وابنته وبارك انتقالي ٠

جـاءت الموافقة على انتقالي لمـدينتي القديمة صباح يوم الأربعاء وفي الطريق المتجـه غربا الذي اعتدت منذ كنت طفلا وبعد تجاوز نصفه، توقفت لتزويد السيارة بالبنزين وتناول العشاء في مطعم ومـقهى للمسافرين، كانت العاشرة ليلا لما واصلت سيري وبعد مسافة لا ادري كم هي انفجر احد دواليب العربة ولم استطع التحكم في المقـود فانقلبت بي السيارة وسحق جسمي بين الهيكل المهشم، انساب دمي على إسفلت الطريق وأخذ نفسي يخفت بينما هناك حراك حولي وناس يستعجلون إخراجي حتى لا تلتهمني النيران، ولم اعد اشعر بشيء وأحدهم يقول بسكينة وهدوء: مات الولد لا إله إلا الله ٠ &

أطلال

لفت نظري طوله وصوته الرخيم، أمي تحثني على إنهاء الحوار خوفا من التأخر قال: سوف أوصلكم وطلب من خادمه صرف سيارة الأجرة التي جئنا بها، وأنا أتـرجل من العربة عرفـت أنه اكتشف كذبي وهو يقرأ اسم والدي بمحاذاة باب الدار ٠ &

التعب

وأنا انتظر عودتهم أنساني التعب بدر ابن الثالثة الذي اعتاد النوم في حضني قبل حمله لغرفته، ركضت ابحث عنه في أرجاء المنزل الكبير ووجدته يرقد في فراشي تمددت بجواره٠ &

الردف

يجلس على مقعد خشبي تجاوزته وطفلها الذي أركبته لعبة السلالم المزروعة مع ألعاب أخرى في المكان ولما اندمج مع الآخرين، جاءت وجلست بجواره بادرته الحديث سألته عن ابنه أجاب انه هناك وهو يرمق السماء، أمسكت بكفه مشى بجوارها وعند محاذاته للعبة انفلت الطفل من رفاقه وتعلق به ٠&

شارع المنذر

شارع المنذر فرعي يتجه من الغرب حيث يتكي على صدر شارع ابوبكر الصديق متجها للشرق ليصطدم بسور مقبرة صغيرة أوقف دفن الجثامين بها منذ ثلاثة عقود ومن جانبي سور المقبرة الجنوبي والشمالي يلتحم المارين بالشارع بعابري شارع عكاظ ٠

في جزء من الشارع احتلت بدرية منزلا من الطين في جانب من الفناء المترب سلم خشبي يصل إلى السطح المبلط بالأسمنت، كما احتلت رقية منزلا أخر وكذلك خديجة، الأولى زوجة لرجل توقفت مهابته عند ضخامة جسمه وكثرة أولاده وبناته مع وهم سرى بين سكان الشارع أنه رجل مباحث، والثانية عقيم وزوج لرجل عجوز يجهل الجميع تاريخه ولكنهم يحترمون صمته وحرصه على عدم الاختلاط بهم، والثالثة زوج عسكري في الجيش انتقل عملة منذ سنوات ثلاث من مدينة عسكريه في الشمال ليكون قائدا لمدرسة عسكرية بالطائف فقام بشراء منزل إسمنتي من دورين في زاوية الشارع ٠

في الصباح يخلو الشارع من الأطفال لانشغالهم بالدراسة، وتقل الحركة فيه إلى حد النضوب ويبقى صوت بائع الأقمشة الجوال وسقاة المنازل، ويلتقي النساء في جلسات توادد وحديث ضحى ٠

في غفلة من الجميع سكن عامر مع والدته وأخته في منزل مهجور بشارع عبادة الموازي لشارع المنذر من الشمال يقبع المنزل المتداعي خلف منزل بدرية فأخذت تقص على الأخريات ما تشاهده عندما تقوم بنشر الملابس المغسولة على الحبل الممتد في السطوح حيث تطل من فتحات ساتر السطح على ماحولها٠

قالت خديجة أن عامر وأمه من جماعتها وقد سعى زوجها في إلحاقه بالمدرسة العسكرية كفت بدرية عن الحديث عن مشاهداتها بعد أن تسلق عامر السور ذات صباح فتأخرت في مغادرة السطح، فجاءها الأمر ولم تقاوم رغبته في الحديث عن مشاعره كان يدقق في كلماته ويلمح اثر ذلك فيها فلما عرف انه سيطر عليها قام بمضاجعتها وتركها بين ثيابها المبللة تحت حبل الغسيل٠

منزل رقية الملاصق لدار بدرية حوافه متقاربة مع الدور الأخرى وكان الرجل العجوز عندما يخرج يقوم بغلق الباب بالمفتاح في نهاية الأسبوع وبعد مغادرة العجوز للشارع يترجل احدهم من سيارة تقف في طرف الشارع يقوم بدفع الباب الموارب والدخول ثم يخرج بعد ساعة من عودة العجوز قالت رقية انه أخيها يأتي من المدينة المجاورة ولم يقنع احد جوابها إنما طريقة حياتها الانعزالية دفعت الاخرين للصمت٠

تخرج عامر من المدرسة العسكرية وعين في مدينة أخرى بقيت أمه وأخته تحت رعاية وحدب زوج خديجة الذي شعر أن داخله ينجذب نحو البنت التي بداء تشكل أنوثتها عرفت خديجة الأمر من بدرية فخاصمت زوجها وأخذت أطفالها وأقامت عند أخيها في جنوب المدينة وتعرفت على جارته قائدة فرقة غناء نسائية فأخذت تحضر حفلاتها كمرافقة وتقضي وقتها في زيارتها التي استساغت فيها أخذ جرعات من الخمر٠

ذات صباح فجع الشارع بوفاة زوج بدرية المفاجي قيل انه مات مسموما ولما جاءت خديجة مواسيه عادت لبيتها وبسبب مرض الرجل العجوز غادرت رقية الشارع لتكون بجواره في منزل شقيقة وجاء عامر معزيا صوته يصل سمع بدريه وهو يواسي في الميت ترقبت صعوده للسطح ولكنه رحل بأمه وأخته ٠

زوج خديجة منح رتبة عسكريه ونقل لمدينته السابقة في الشمال نقل عامر إلى مكتبه وقام بشراء منزل ليكون مهرا لعروسه الصغيرة وأمها علمت خديجة بالأمر وهي تعد للحاق به فتوقفت وفضلت البقاء مع أبناءها في منزلها ٠

بدرية ذات صباح فتحت الباب لتجد بائع القماش المتجول أدخلته غرفة الجلوس، تحدثت عن حاجتها لملابس جديدة والانكسار في وجهها لم تقاوم لمساته وهو يعرض ما لديه شعرت بالانتشاء وكفه تعري ساقيها نامت فوق قطع القماش، خديجة تجرعت ما تبقى من خمر في كأسها وسارت خلف صديقتها ألمغنيه استسلمت للمداعبة الجسدية تنبهت وهي تتمدد في الفراش إلى وجود رجل يجلس على مقعد في الغرفة، رقية في زيارة مجاملة لنساء الشارع قالت أنها شرت بيت في طرف الحارة بنصيبها من تركت زوجها العجوز وأنها تزوجت عامر ٠

ارتعاش الرمل

قال: طائر هزار لفراشة كتان حطت بجواره صباح يوم في شهر شباط غطى الغيم شأبيب الشمس، تشرنقت الحروف وبداءت معالم الطريق تلوح، الغربة

تتفجر في داخله من ظلم حاق به فتدمر حلمه مع الكبـوة الأولى في مسار التعلـم فهرع إلى طـريق الوظيفة، نموذجه حلم يمارس معه عندما يدخـل الحمام العادة السرية، وذات مـساء كان يركب مع سيدة يعرفـها سيارة أجـره متجها إلى مـدينته القديمة تبادله الحـديث وتحـدق فيه عبر خمارها وبين وقـت وأخر تربض كفـها السمراء المتعرقـة على فخذه٠

معـرفته بالمرآة كونها من صور المجلات التي يقرأ ونسـاء أفـلام السينما التي تعرضها صالات بدائية غير مرخصة في الطائف تغلقها ألشرطه ويداهمها بـين وقت وأخر أفراد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر٠

في استراحة مسافرين تحف بها أشجار وحشائش نصفها محترق بسبب زحف كثبان الرمال وتحرك المكان أمن لمرافقته غرفة شاركتها فيه أخرى عائدة لزوجها برفـقة والدها جلس مع الرجل في مقهى الاستراحة أشعل الرجل سيجارته وطلب أبريق شاي وسأل النادل عن نوع الطعام، قام بحمل صحن الطعام إلى غرفة مرافقته العجوز تناولت المـرآة الأخرى الصحن وقبل أن يتركه لها سقط الخمار من على وجهها بهره جمالها وبياضها انحنى معها وهو ممسكا بحافة الصحن لوضعه على ارض الغرفة٠

لما عاد للسيارة لمواصلة الطريق جلست المرآة في المقعد الخلفي بينه وبين مرافقته بينما عاد والدها لمكانه في مقعد السائق مع الراكب الذي كان يجلس بجواره، تتبادل المـرأتان الحديث وهو يرمق الفضاء ينادم البوح الذي عصفت به الرياح أطـرافه النحيلة ترتجـف وغثيان الطريق يتكوم في داخلة قوائم من الحبر الأسود، قطع تأملـه كف ربتت على فخذه تلمسها طرية وغضه تركها تمارس عبثها انه بحاجة لخلوة يستمني فيها على صورة امرأة كونها خياله الكف تزحف كما الأخبطوط٠

لم ينقطع الحديث بين المرأتين ولم يتوقف الرجل العجـوز عن التدخيـن ولم ينتهي الراكب الأخر من قصته التي يسردها للسائق حتى يساعده على البقـاء متنبها لمخاطر الطريق، مع تباشير الصباح ولجت السيارة شوارع الطائف، طلب الرجل العجوز من السائق إيصاله لمنزل زوج ابنته وهي تترجل همست في إذنه بأنها تنتظره عند الظهر لما تحركت السيارة٠

قالت: مرافقته ماذا تريد لم يرد وطلب من السائق إيصالهم لدار أسرته٠

نام في غرفة أمه قلقا راوده حلم معه تلـذذ بلحظة تـدفق تنبه هلـعا ركض للحمام ملابسه الداخلية مبللة، تناول الإفطار بين حدب أمه وعلى صوت مرافقته التي تنتظر ابنها المقيم في إحـدى الضواحي، مع دقـات الساعة الكبـيرة المعلقة في صالة الجلوس تذكر الموعد بدل ثوبـه وخرج اخترق الطرق التي يعرف، الطيوف تتخطف أمام ناظره شعر بالتعب والخوف إنها المرة الأولى التي يركض من اجل لقاء مع امرأة حقيقية متذكرا لحظات انجذاب عذري مـع بنات من الجيران ومعاكسة لطالبات المدرسة المتوسطة وهن يتناثرن من حافلتهن في شارع المنزل٠

فتحت الباب بكامل أنوثتها في ثوب نوم طويل يشف عن جسد ممشوق شعرها ينسدل بدون رباط على جبيـنها مدت كفها مسلمة لم تنبس بكلمة حلقه بئر ناشفة، أغلقت الباب بحـذر الصمت يعم الدار دخـل خلفها غرفة ستائرها مسدلة الخوف عمق العتمة التي زادت والباب يغلق بالمفتاح٠

بانت معالم فراش تناثرت أغطيته أمرته بالجلوس أنفاسها تلفحه تشعل في داخله النار اخذ يحدق في ما حوله صورتـه وصورتها في المراءاة الكبيرة المقابلة للفراش، أخذت غترته وطاقيته ووضعتها على عـلاقة الملابس فكت أزرار ثـوبه كفها تثير غرائزه الصور التي يحتفظ بها للنساء تمر بذاكرته وهي تقبل فمه عرف أنه شاهدها في فلم سينمائي لم تكتمل أحداثه بسبب مداهمة ألشرطه اكتشفت أنه بكر لا يعرف شيء٠

ارتفع رنين جرس الباب وهي تخرج من الغرفة طـلبت منه ارتـداء ملابسه، وصله صوت الرجل العجوز وأخر جاءت سحبته تذكـر غترتة وطاقيته ساعـدته على إغلاق ازرة ثوبه

فتحـت الباب الخـارجي دفعتـه، أستنشق الـهواء عاد من طريق أخر وجد أمه وأخواته ينتظرونه جاء والده من العمل فالتف الجميع حول سفرة الغداء٠

نـام في غـرفته السابقة زارته فـي المنام اخـذ يهذي قال أخيه وهو ينبهه من هي تذكر انه لا يعرف لها اسم٠&

الغرفة الثالثة

الشعور بالألم أخذ يخالط أيامي الجديدة، فضاء المكان لم يعد يتسع حرقة الأسئلة المسربلة بالتردد وانمحاء المعالم، انتقلت منذ أشهر مع زوجتي وابنتي إلى مسكن جديد شقة في الدور الأرضي من عمارة يقيم في دورها الثاني صاحبها، وفي الدور الأول شقيق زوجة صاحب الدار وجئت أنا محتلا مكانا شاغرا في فضاء شارع يرتبط بتكون اعتدته عابرا قبل زواجي العام الماضي في الطريق إلى الأصدقاء لقضاء وقت غفي عنه الزمان بالحديث عن (فائقة) التي رحلت وتركت لنا خلق الحكايات٠

تعرضت ابنتي لوعكة صحية قبل حضورها مواسية ومغاضبة لزوجها حتى ترتب أمر سفرها إلى حيث تقيم ابنتها، زوجتي وابنتها في منزل والدها ضيفتي تنام في الغرفة الثالثة من الشقة على فراش قطن تمدد فوق الأرض، وأنا اجلس في غرفتي بين النوم والصحو والساعة تشير إلى الخامسة مساء٠

باب الشقة يقرع نبهني من غفوتي إصرار الطارق زوج ضيفتي تحدث عن رغبته في مصالحتها، أدخلته غرفة الجلوس وسعيت إليها كانت في نومها العميق تجر أنفاسها شعرها الذهبي القصير يتناثر مغطيا جبينها وجانب من وجهها فتحت ثوبها الواسعة تشف عن صدرها الكبير تهدل ثدييها فانبثقت شهوة ملامستها كما انحسر الثوب عن ساقيها حتى برزت أجزاء من الفخذ وتعالى تقويس ردفها، ناديت باسمها منبها تمطت لم تهتم بتغطية

عريها شعرت إني احلق في أجوائها مانعت لقاء زوجها زرعت كفي على ظهرها دافعا وأنا أواصل الحديث عن اعتذاره وشعوره بالذنب أنفاسها تلفحني، سارت أمامي إلى غرفة الجلوس وهي تدعك عينيها وعدت إلى مكاني.

لم اهتم بالوقت وإذا بها تقتحم خلوتي شرحت وهي واقفة بالباب اقتناعها بعذره وريبتها من تصرفه كان اصغر سنا يميل إلى ألسمره بينما جاءت ناصعة البياض مكتنزة الجسد، هو زوجها الثالث كما قالت اقترنت به منذ عام كانت خصاما تهم تطوق علاقتهم فاعتادت هذيانه ووجدت فيه شيء شكلته بما يتفق مع طاقتها.

لحقت بها إلى الغرفة الثالثة شعرت بي، عرفت انه سوف يأتي في الثامنة لأخذها منظر تهدل ثدييها يتكرر أمامي كما شريط سينمائي غابت كلماتها وأنا أتخيلها عروس بحر أتلذذ بتفحص تلالها، نبهتني كفها التي اصطدمت بكتفي وهي تشرح سبب خصامهم الأخير وانحنت حتى تريني أثر أصابعه على ظهرها، مررت أناملي متلمسا وجعها رائحتها تمزق تجلدي غمغمت وأنا الصق فمي بالشفة المزمة وقفنا من جلوسنا المتقابل على الأرض دفنت وجهي في صدرها تنهدت دقات قلبها تصافح جدران الغرفة، شيء في داخلي يركض ويعبث بصمتي قاومت عنف اقتحامي مجاهلها توسلت أن اخفف حراكي كل شيء ينهار ويختفي أمواج البحر تصطخب وشلالات الماء تطمس المكان، الفراش يطير بنا كما بساط الريح وفضاء الغرفة يتسع لمعركة أشعلت نيرانها انهارت الجدران أمام التدفق الثنائي قالت وهي تلحس جراحها أني الأعنف بين من عرفتهم.

في ألثامنة خرجت صوت زوجها المبتهج يتقاطع مع ضحكها العاهر الذي عج في الشارع وفي العاشرة ليلا عدت وحيدا بعد أن تلمست رغبة زوجتي البقاء في دار والدها خلعت ثوبي ونمت بسروالي الداخلي وفانلة علاقة سمعت الباب يقرع كان احد أطفال صاحب البناية قال إن والدته تبحث عني هممت بإغلاق الباب وجلا من سطوتها عندما جاء صوتها عبر الدرج خرجت فلما لمحتني غطت وجهها بخمارها الأسود سألتني عن ضيفتي غاب عن ذهني إنه منذ شهر أقامت عندي ثلاثة أيام، تنكرت وجودها فأرتفع صوتها هددتني

بالطرد من المسكن إذا لم أخرجها زادت حدتي في الرد بسبب انفعالي هبطت ودفعتني دخلت الشقة تبحث عن المرأة الموبوءة التي احمي ٠

لاحقتها وهي تتجول بين الغرف شمت رائحتها فتوجهت رأسا للغرفة الثالثة فراش القطن بمخداته ولحافه يتوسط الغرفة التي خلت من الأثاث، الغطاء يشف عن وجهها الذي أحدق فيه رغم انفي متابعا كلماتها وخصامها حتى اعرف سبب ثورتها عند باب الشقة منعتها من الخروج تراجعت غمغمت بكلمات غير مفهومة ثم أجهشت باكية جاءت مقاومتها إصرار من قبلي على أن انهي احتجاج واهي وأنا أجابه تعديها على خصوصياتي، أخبرتها أن ضيفتي إحدى قريبات والدتي وعرفت أن ضيفتي كانت زوجا سابق لصاحب الدار كما عرفت إنها تقاوم حتى لا ينهار بيتها الذي تدافع عنه منذ دخل زوجها السجن في قضية مالية وسندات بيع سيارات مسروقة تأخر البت فيها زوج ضيفتي أحد اطرافها ٠

لملمت نفسها دخلت المطبخ وأحضرت قنينة ماء تجرعت الماء من فمها تناولت القنينة وشربت الباقي سرت ابتسامة صغيرة على محياها تركتني في مكاني سمعت الباب يغلق ٠

وصلت مقر العمل متأخرا لاحظ مدير المكتب قلقي وتشتت فكري من خطاء غير اعتيادي في إجراء اتخذته على معاملة مراجع تأخرت أوراقه عندي أمرني بالعودة للمنزل أذنا لي في بقية ساعات الدوام ٠

قالت زوجتي وهي تمد سفرة الغداء إن الطبيب طلب منها مراجعته لمتابعة حالة ابنتي الصحية حدقت فيها كانت تقاسيم وجهها تشبه وجه ضيفتي مجللا بالسواد ولما عادت تحمل دمية تشبه طفلتنا تغيرت تقاسيم الوجه فإذا بها جارتي التي تسكن الدور الثاني وقد تعرت فتخلقت فراشة تبحث عن كوة نور ٠

أطل وجه أمي شعر رأسها يتلوى كما ثعابين وقد تطاولت أنيابها وجحظت عينيها تغرز أنيابها في عنقي تمص دمي وصوتها الهادر يتسبب في تحطم الأشياء فتتكوم قطعا حول جسدي الذي شله الخوف فأتمدد علي الأرض معميا علي، الصمت يحيط بي والظلام يملا المكان وأزحف على بطني ابحث عن مفتاح النور ٠ &

المحطة الأخيرة

في اليوم الرابع على موتها تجمع الأبناء والبنات، حول التلفزيون حديثهم متقطع ومنهم من يتابع أحداث مباراة في كرة القدم بين فريق نادي النصر الرياضي وفريق النادي الأهلي الساعة التاسعة ليلا والمباراة في الدقيقة العشرين من الشوط الأول والنصر متقدما بهدف سجل في الدقيقة الثامنة ٠

رن جرس الهاتف تناولت عواطف الابنة البكر للمتوفاة سماعة الهاتف من ابن أختها الذي لم يتجاوز الرابعة تقبلت المواساة في والدتها من المتحدثة التي لم تعرف نفسها، أربكها حرص المتصلة على وجود الجميع / حنان / توفيق / عبد العظيم / أمينة / جاء ترتيب الأسماء حسب الأعمار ٠

بعد صلاة الظهر وقد أخر توفيق سفره وأجلت حنان رحلتها مع طفليها بالطائرة أربع وعشرين ساعة واستمهلت أمينة زوجها الذي أقام عند شقيقه وتركها مع أطفالها الثلاثة تشارك إخوتها مراسم العزاء حتى بعد صلاة الجمعة بينما كانت عواطف تملك وقتها فهي منذ دخلت والدتها المستشفى في إجازة مفتوحة من العمل ومن زوجها وابنتها الوحيدة لتكون بجوار والدتها وهاجس الموت، عبد العظيم يقيم مع المتوفاة منذ عامين بعد أن طلقته زوجته وتخلت عن ابنها فقام بالعناية به، كانت المتحدثة ممرضة بالمستشفى الذي توفت فيه أمهم تعرف الجميع من خلال متابعتهم حال أمهم الصحية ٠

قالت: تقديرا لوصيه المرحومة وأنا محرجة جئت أسلمكم أمانة أودعتها الوالدة عندي طالبة مني تسليمها لبنتها عواطف في حضور الجميع ٠

بعد خروج الضيفة انتصب على الطاولة التي تتوسط الغرفة علبة بيضاء صغيرة الحجم يلتف حولها شريط أحمر اللون، ترددت عواطف في فتح ألعلبه وقام توفيق بفك الرباط في العلبة أساور ذهبية وخواتم فضية ذات فصوص من الحجر الكريم وصورة فوتوغرافيه لرجل يعرفه الجميع ينعتونه بالعم متجاهلين اسمه وقرابته، ورسالة بخط مرتبك يعرفون إن أمهم أميه لا تعرف الكتابة وترهقهم بشرح ما يعرضه التلفزيون من أفلام اجنبية ٠

تخطفت أيديهم الحلي وبقيت الرسالة بين يدي عواطف مع الصورة التي تثنت أطرافها نسي الجميع أمر الرسالة وانشغل كل واحد بإعداد أهاب سفره، أول المغادرين توفيق لمواصلة غربته وركبت أمينة عربة زوجها بين شغب أطفالها واستعجاله، عواطف رتبت سفرها في رحلة حنان ٠

في المطار وقد غادرت حنان الطائرة شعرت بالوحدة مستعيدة الأيام الأخيرة لأمها مع صراع المرض ولاح أبيها الذي رحل منذ عشر سنوات في حادث سير أثناء زيارة عمل لقريته في أقصى الجنوب متابعا أعمال بناء منزل للعائلة في جزء من ارض زراعية تمكن بعد صراع مع أفراد من أسرته وبعض أكابر جماعته من تملكها٠

يعلن المذيع الداخلي بأن الرحلة سوف تتأخر بسبب سوء الأحوال الجوية في محطتها الأخيرة ترددت في مغادرة الطائرة عدلت وضع مسند المقعد ونامت جاءتها أمها في المنام تسألها عن نصيبها في الحلي٠

قالت:إخوتي وهم يتخطفون العلبة لم يتبقى شيء

تنبهت متذكرة العلبة نهضت فتحت درج الحقائب الذي يعلو مقعدها أخرجت العلبة حدقت في الصورة تعرف الرجل يسكن في بدروم مبنى مجاور لمنزل الأسرة معتل الصحة والدها يعطف عليه ويتبع حالته الصحية وتقوم أمها بغسل ملابسه وإشراكه في الأكل حيث ترسل احدهم بما تجهز ٠

قالت: الممرضة إنها من إملاء المريضة، الرسالة في صفحتين من دفتر مدرسي بقلم مرتبك وحروف تآكلت اطرافها٠

أولادي وبناتي

كان أبيكم رحمة الله عليه بارا بي وحريصا على علاقتي به في البداية توهمت انه يعزني ولكن الوقت كشف لي انه حاقد ويريد تدمير من حوله وخاصة جماعته وأهله لم اصدق عندما قال أبي انه زوجني بسعيد الذي يعرف إن شيخ قريتنا خالي حجزني لولده صالح كما تقول أمي، كان صالح طوع أبيه ويده اليمنى حتى فقد عقله عندما (طاح) ذات يوم في بئر من ابيار مزرعتنا ولم تنجح محاولات أبيه في علاجه من البكم والصرع الذي ينتابه بسبب الجنية التي دخلته٠

بعد ستة أشهر جاء سعيد وتزوجته وتقطعت حبال المودة بين والدي وجماعتنا سافرت مع زوجي لمقر عمله في الشرطة بوابا في المحكمة الشرعية بالطائف وكنت اخدم في منزل رئيس

المحكمة، عندما يكون عنده ضيوف ويضحك الحريم من لهجتي فأتحمل (عشان) سعيد الذي خطط لشراء بيت أفضل وأوسع من الذي نستأجر ٠

تأخر حملي وقلق سعيد ووصلت شكواه للقاضي الذي أعطاه أوراق محو آيات من القرءان وأدعية كتبت بماء الزعفران عسى أحمل وصار النصيب الذي عطلني عن الخدمة في بيت القاضي وشعرت إن زوجة القاضي تكرهني وأمها تقول إني (خربانة) فانقطعت عن الناس حتى ولدت وجاءت أمي ومعها الشيخ وولده المريض، دخل صالح المستشفى ولما خرج قام سعيد برعايته بدعوى مواعيد المستشفى أستأجر له غرفة في شارعنا وأصبح الشيخ يرسل فلوس وحب وفواكه لولده عن طريق سعيد كان المريض يقضي وقته عندنا في الدار وشاركت سعيد في رعايته اغسل ثيابه وأعطيه من أكلنا عرفت انه يفرح (ويصح) إذا شافني لاحظ سعيد ذلك فأستغل الوضع فكان يمنع المريض من (شوفي)

فيتهيج ويركض في الشوارع وتمسكه ألشرطه وتدخله المستشفى

فيأتي والده ويقوم سعيد بإخراجه ويتعهد برعايته ويطلب فلوس زيادة، خطط سعيد على طرد إخوانه من نصيبهم في مزرعة ألديره وشهد الشيخ معه ٠

صالح اشتد عليه المرض فضعف جسمه، زاد نحوله وطال شعر رأسه ولحيته في يوم دخل الحمام يستحم أغمي عليه سمعته (يطيح) على الأرض لم يكن في الدار احد دخلت وحملته تمدد في غرفة الجلوس وفتح عينيه شعرت انه يريد قول شيء قصصت شعر رأسه وشذبت لحيته أخذ يبكي وهو يقبل يدي شيء مسني حرارة سرت في عروقي مسحت دموعه، قدمت له الأكل أمتنع بدأت اللقمة كان يضحك مثل الصغار وقام بتأكيلي وعندما خرج سلم عليرأسي ٠

لاحظ سعيد التغير ولكن لم يسأل فقد فتح بقاله ومكتب عقار يأخذ وقته ويجهز لبناء دار في مزرعة القرية، عرفت إن صالح يحبني وبطيبة خاطر أصبح رجلي يعرف سري ويشاركني همي في الصباح افطره

(نسو لف) ونتابع مسلسلات التلفزيون وأرقد معاه في بعض الأيـام وعنـد الظهـر يـذهب للمسجد ويقوم بفرش سجادة صغيره قدام باب غرفته يجلس عليها حتى العشاء ثم يـدخل وفي الصبح بعد خروج سعيد يدق الباب٠

انه أبوكم الحقيقي الذي معه شعرت بالأمان، وأنا تذكرت ريح أهـلي بيـت الحجـر والـذرة والقصب والبقر تحرث الأرض وتسقي الزرع والقربة التي ادلف بها المـاء ولمـا مـات سـعيد زادت رعايتي، حتى جاءت أخته التي لم يرزقها الله بأولاد قبل عـامين فأخذتـه للـديرة بعـد موت زوجها عارضتها في البداية وكان صامتا لم يتفوه بكلمه بكى وهمهم ببعض الكلـمات لم يصرع ولم يركض في الشوارع كما هي عادته عنـدما يغضـب، الحـلي والصـورة أعطـاني يـوم سافر٠

تنبهت عواطف على حركة داخل الطائرة الركاب يعودون والمضـيفين والمضـيفات يقومـون بأعمالهم تريثت حتى أقلعت الطائرة أخذت تدقق النظر في ألصوره، قالت المضيفة وهي تقدم لها كوب ماء طلبته: زوجك ٠٠! هزت رأسها بالإيجاب٠&

١ــ

وأنا في الثامنة من العمر توفيت أمي وبعد شهر انتقلنا من مكة المكرمة إلى الطائف أنا وأبي، الذي هده فقدها فشعر بحاجته إلى باقي الأسرة في الطائف٠

أقتنى والدي منزلا من دور واحد في حي الشرقية يفصلنا عن الحي الذي يقيم فيه غالبية جماعتنا شارع عكاظ الذي يضم مطاعم ومتاجر تتوفر بها كل ما نحتاج٠

البيت رغم قدمه كان مسكن أمان لي ولوالدي، تقاسمت الغرف شئوننا٠

أقضي وقتي بزيارة أصدقاء والدي ومرافقته إلى السوق، والصعود إلى سطح المنزل لاكتشاف الحي والجيران٠

٢ــ

بعد عام تزوج والدي (خديجة) امرأة أرمل لا يوجد لديها أبناء، شملني حبها وفي سفر والدي لمتابعة أعماله، أنام في فراشها٠

٣ــ

ذات ليلة صائفة شاركت خديجة الغناء والرقص مع فرقة طرب نسائية تحي الأفراح، في حفل زفاف قريب لها، وتطورت مشاركاتها حتى غدت عضوا في الفرقة وشجعتني على الغناء والرقص٠

٤ــ

توطدت علاقتي بزوج أبي وتفتحت مشاعري ومكنوناتي الجسدية على عواطفها٠
عرفت من عضوه في الفرقة جذبها شكلي، إن لخديجة عشيق تلاقيه سرا لم اهتم فهي تحدب علي وترعى شئوني كما إنها أمي٠

٥ــ

أخبرني والدي بأن (مبروك) أبن عم خديجة تقدم طالبا يدي، جاء العريس مكملا للحظات تكون جديد، فجر طاقاتي، وغرس في أعماقي ترف غريب ٠

٦ــ

جاء مولودي الأول ولدا أنكر زوجي أبوته اتهمني بأنه ثمرة علاقة بشاب من جيراننا كنت الجاء إلى والدته في حل مشاكلي ولما تمادى في رفضه طلبت الطلاق؛ زوجة أبي شاركتني أحزاني وأفراحي وكرست وقتي لتنمية قدرتي كمطربه ٠

٧ــ

وافقت على الاقتران (بسعيد) شقيق صاحبت في الفرقة يشرف على مشاركاتنا ويقود سيارة الفرقة في تنقلاتها ٠

٨ــ

زوجي وهو يرافقنا تكون في داخلة الخوف الذي تطور إلى قلق نفسي ٠
ذات ليلة كنت احي مع فتيات الفرقة حفل خاص لم يبرح المكان، جلس مع الخدم وعمال المنزل في غرفتهم بفناء الدار لما انتهت السهرة افتقدته، قام سائق صاحب الدعوة إيصالنا ومرافقاتي للمنزل٠

٩ــ

طال غياب سعيد مما أربك حياتي، عيون من حولي تتهمني، عاودت البحث عنه في المستشفيات وأقسام الشرطة٠

قال صحفي يهتم بأخباري وأغني شيء من أشعاره، أن زوجي فقد عقلة وأنه يهيم على وجهه في باحة الحرم المكي، لم اصدق ذلك، حتى رافقته ذات ليلة كان زوجي يسند ظهره إلى أحد أعمدت الحرم جلست بجواره، وجهه يشع نورا ويرتدي ملابس بيضاء، نهض تابعته بنظري حتى اختفى٠

١٠ــ

في العام الثالث على غياب زوجي جاء طلاقي، حتى أتزوج سرا أحد موظفي المحكمة الشرعية، أخفى والدي قبل وفاته عنده وثيقة المنزل التي همش عليها بعد زواجي الأول بأني شريت نصف البيت، أثمر الزواج طفلة فأعلن حامد زواجنا٠

نظمت وقتي بين نشاطي الفني ورعاية زوجي مع الاحتفاظ بخديجة لدورها في رعايتي كأم عوضتني اليتم ومودة الأقارب وتجاوز نظرة الدونية فيمن يعرفني من الأقارب، وتنمي في داخلي الثقة بقدراتي وما أقوم به من حقي الشخصي، وان نبوغي جاء بعناية حارس خفي٠

١١ــ

الصحفي بعد إفلاسه الشعري ونجاحي في غناء قصائد لشاعر جديد ضمها شريط اكتسح السوق، هاجم نجاح الأغاني وهاجم صوتي وتطرق لبعض خصوصياتي٠

ـ١٢

تخرج ابني البكر من الجامعة والتحق بالعمل الحكومي، خديجة طلبت مني إدخالها دار المسنين بعد أن قاطعها أهلها وشعرت إن دورها انتهى قاومت رغبتها ولكن أمام إصرارها استسلمت، أقوم بزيارتها بين وقت وأخر، واحرص على حضورها منا سباتنا الخاصة وبعض أيام الجمع٠

ـ ١٣

في ليلة غناء بصالة داخل فندق مسرة، لمحته يقف مع مرافقه في بهو الفندق، شعرت أنه يسيطر علي، توجهت نحوه ولما حاذيته تحرك تابعته بنظري حتى مقهى الفندق، لحقت به دخلت وجلست على الطاولة القريبة منه، الملامح اعرفها والصوت حركة الكفين، وثوبه الأبيض الناصع ٠

بعد شرب فنجان قهوة نهض، قفزت من مكاني أمسكت بذراعه، وهو يحدق في ردد بصوت واهن سعدا٠٠ سعدا

الاختناق

تكونت صورته السياسية من ثقافة زملائه المعلمين في المدرسة، لـم تكـن لـه تطلعـات وأراء بقدر فرحه بالعمل والدخل الجديد الذي يأتي أخر الشهر، مازال الـراتب يأتي ومازال وحيدا يتنقل بين المدن، قدم من قرية في أقصى الشمال إلى مكة المكرمة للـدراسة، ولما تخـرج عـين معلما في مدرسة محدثة بالطائف المأنوس٠

كان المعلم الوطني الوحيد بين جنسيات عربيه مختلفة، توطدت علاقته بالمعلم عبد الـرءوف فلسطيني من غزه جاء وزوجته، ومصريين من القاهرة ومـدن أخرى فكانت تجمعهم نقطـة حوار في نهاية الأسبوع للنقاش، استفاد مع الوقت سياسيا وزادت معارفه بما يقرأ مـن كتـب يحضرها المعلمين معهم في عودتهم من إجازة نهاية العام الدراسي٠

في عام ١٩٥٦م جاء العدوان الثلاثي على مصر، يتذكر أن الحوار احتد حول القيام بـإضراب والتظاهر، تناقل معلمي المدارس المصريين في اليوم التالي الفكرة فكان الإضراب معتصـمين في المنازل، شارك في الاعتصام وتمت مسألته وحسم ثلاثة أيام من راتبه٠

في جلسات الحوار بعضهم يصر على سماع برنامج إذاعي يقدح في أمانة بعض الزعماء العرب ويخونهم، ويطالب الجماهير العربية بالاحتشاد لطرد اليهود من فلسطين، بعده يحتد الحوار ويعود كل واحد لمسكنه٠

ذات مساء أقلقه اتهام تردي الفكر وضحالة التكون السياسي، الذي جاء من معلم مصري جديد انضم للمدرسة، تحدث عن تأميم القناة، وأحضر معه كتاب يتحدث عن الثورة ألمصريه وبعض الصحف التي تناولت بعض مقالاتها الخيانات العربيه٠

أصبح اللقاء ندوة سياسية، لجماعة تباينت أفكارها وأهدافها نهاية ألأسبوع وتشارك فيه الزوجات وان كن فقط ثلاث، هو سادس معلمي المدرسة، وقرر إعداد عشاء وطني كبسة رز بلحم جمل، احتج بعضهم فكانت الكبسة بلحم غنم، إحداهن بعد العشاء الفاخر تورددت له عرف إنها وجدت فيه شيء، فخرج من المدرسة صباحا، كانت تنتظره٠

عرفت زوجة معلم أخر بما حدث ناقشته لم ينكر، وتوسطت في زواجه من ابنة فراش المدرسة العم محمد، كانت فاطمة مصدر الهام الجميع، وشعلة نبض قريحة الشعر بين طلاب ومعلمي المدرسة٠

جاءت فاطمة مع حزمة مطر في الأيام الأخيرة من شهر شباط، يجدها الجميع طفلة تركض في الشارع حتى نصح نساء الحي أمها بحجبها، وافق العم محمد وتم الزواج احتفلت المدرسة به، تباينت همومه السياسية وارثه الاجتماعي، وهواجس هوس خطاب سياسي يحمله ملتقى نهاية الأسبوع ٠

بين هذه التباينات عرف إن فاطمة تبيح جسدها لرجل من الشرطة العسكرية، فك والدها من السجن لتأخره في دفع إيجار المنزل الذي يقيمون فيه، ضربها وغادر الدار مقررا تطليقها٠

مع نهاية العام الدراسي أكمل مسوغات نقل عمله إلى مدينة أخرى، لم يحدد وهو يوقع نماذج طلبات النقل قرر نفي ذاته، في حفل عشاء أخير لمنسوبي المدرسة جاءت فاطمة شعر انه فقدها، وطوقه حزن اسود انفض السامر وتلفت حوله الأشياء بدون معالم، وصوت

رعـد قادم ولمع برق يمزق السماء، تجول في الشوارع قادته قدماه إلى منزل العم محـمد البـــرد يلدغ جسده النحيل، وقوفه لفت نظر رجل ألعس الليلي اقترب منه، لما عرفه بادلـه الحـديث سار الاثنان مخترقين الشوارع الفارغة٠

شده الضوء المنبثق من منزل المعلم عبد الرءوف، توقف عن المشيـ اقـترب فتحـت الزوجـة الباب، لوحت بكفها للعاس الذي تبسم وهو يهم بمواصلة تجواله، فأطلق صافرته٠ &

ترافقت رحلتي إلى جدة مع هطول الأمطار المصحوبة برياح قوية تكنس الأشياء٠

قال: (مرافقي زميل في العمل) لابد من تنظيم الوقت فمساحة رحلتنا أربعا وعشرين ساعة٠

لم أعترض لمعرفتي بدقته وتحكمه في برنامجه اليومي، لما وصلنا بعد المغرب لم نجد أخي؛ فجلسنا على مقاعد مقهى متهالك في وسط حي فقير أعتدت الانزواء فيه عندما اقتحم جده٠

جاء أخي في العاشرة ليلا أخذنا لمسكنه، ضاقت الشوارع وتعرجت يلطخها الظلام والصمت، بين خطوة وأخرى يتسرب بكاء طفل عبر جدران الصفيح والطوب المتداعي ويقطع حديثنا نباح كلاب ومواء قطط، ولما اقتربنا كان باب المسكن مشرعا، طلب منا التريث، عرفنا ونحن ندخل إنها جارته جاءت بالعشاء ٠

قال: (مرافقي وهو ينام في الفراش وقبل أن يرتفع شخيره) إن يومنا مرهق٠

حملت فراشي إلى فناء الدار، أخي وجارته يتبادلان الحديث لما شاهدتني تبسمت ودعتني للجلوس، وقرع الباب نهضت جاءت معها أخرى أمرتها بتسليتي، بينما كنت في زحام الإنعتاق لمحت أخي وجارته يراقباننا عبر نافذة الغرفة التي اندسا فيها، شعرت بالانكسار٠

قالت: (الفتاة همسا وقد لحظت انكماشي) اعتادت ذلك معي٠٠!

قال: (مرافقي وهو يقلب ورقة منزوعة من دفتر مدرسي وقد عدنا) لم أجد الكتب التي طلبتها شقيقتي٠٠!

سحبت الورقة الكتب متوفرة في مكتبتي الخاصة، لما وصلنا الـدار أخرجتهـا، أخـذها لبـث لحظات يحدق في ثم مشى مبتعدا٠ &

انكسار

* قبل مغيب الشمس طرقت باب سكني الصغير مع ابنتها ذات السنة الواحدة متشحة بعباءتها، دخلت ولما التقطت أنفاسها طلبت مني السماح لها بان تستخدم الهاتف٠

تركتها في الصالة أمام التلفزيون ودخلت غرفة الاستقبال، بعد دقائق ظننتها الدهر، شممت عطرها جلست على المقعد المقابل ٠

قالت: الشرطة أمسكت بزوجي٠٠!

عرفت انه تقاتل مع بائع تلفظ عليه بكلمات نابية في سوق الخضار، وأعرف أنه محدود الذكاء يتصرف بحمق وانفعال، قاس في مزاحه ويضحك الأصدقاء من قوته الجسدية فيتجنبون مواجهته٠

بكت أرتفع نشيجها واندست الطفلة في حضنها، أخرجت من حقيبة يدها منديلا ورقي وأدخلت كفها تحت الحجاب تمسح دموعها٠

قامت من مجلسها، انحنت تحمل طفلتها، فأنكشف وجهها تخلت عن الطفلة حتى تصلح الغطاء، قارنت بين ملامح وجهها التي تكونت في لحظة من الزمن ووجه الصغيرة، تعامدت نظراتنا تخيلتها تبتسم، ذاب جليدالمجاملات٠

قالت: (وهي تقف بالباب) سوف يأتي أخي في طائرة الصباح٠٠!

رائحتها في ملابسي وفي فضاء المكان، خفت من قدوم زوجتي فتكشف ما حدث، غادرت الشقة٠

في اليوم الثاني وأنا أتوجه لصلاة المغرب وجدت زوجها تبادلنا الحديث، حدق في ونحن ندخل المسجد، اخترت مكانا بعيد وتأخرت في الخروج٠&

الشخير

بيـن تصفيق الحضور ووقوف راعي الحفل ملوحا بيده، جاء صمتي الذي شاركني الم الفقـد منـذ وعيت الحيـاة، هذه اللحظة بالنسـبة لي تاريخيـة، فأنـا ضـمن زمـرة المـدعوين وسـوف أتشرف حسب فقرات الحفل بمصافحة الرجل٠

في الحـافلة جلـس صمتي بجواري، فقد تهت عن رفاقي وهذه الحافلـة الأخـيرة في الموكـب نصف مقاعدها فارغ، بعد انطلاق الحافلة بدقائق أرتفع شخير نائم، تجاوز تحـاور المتنـاثرين على المقاعد، رمقني بعضهم بنظره فتبادلنا ابتسامة صغيرة٠

تسرب الملل إلى أعماقي قلبت الدليل الإعلامي للحفل وكتاب عن الثروة الحيوانية أصـدرته الشركة لأحد باحثيها، تمطيت وأنا أراقب أعمدة النور والسيارات التي نتجـاوزها في مدخل الرياض، استقرت كفي اليمنى على المقعد المجاور توقف الشخير ٠ &

انثيال بوح

بعد أن قلبنا البوم الصور اخترنا ثلاث صور لثلاث الصور تنبي عن تميزهن، ثم طالبنا الرجل الأسمر الأصلع صاحب الكرش والبنطال الأسود والجزمة اللامعة ذات الرباط بعرض بضاعته من النساء، كشباب مازلنا عزاب ونبحث عن اللذة٠

فنحن في برنامج عمل خارج مدينتنا الصغيرة المندسة في ثنايا الجبال، حسب طلب إدارتنا لتطوير قدراتنا العملية يستغرق أيام خمسه، والاكتشاف يجعلنا نتجول بدون وعي في الشوارع الفارعة والأسواق التي تعج بالمرتادين من كل الأجناس ثم نجلس في مقهى خارج المدينة الكبيرة التي لا تنام، حتى ساعة متأخرة من الليل٠

جاءت خيار الأول فلحق بها، وتأخر خيار الثاني فوجد البديل بيضاء البشرة في حمرة ناعمة الشعر ردفها لا يتوقف عن الاهتزاز، تبقيت ارتقب لتدخل طفلة في العاشرة على حظ عظيم من الجمال، شيء شدني فيها وأنا أتفحص جسدها الممتلي، تناثر شعرها الأشقر القصير على جبينها، صدرها غض وذراعيها العاريين يلمعان بياضا، عنقها طويل زرقاء العينين، ثوبها القصير لا يغطي ركبتيها، عرف الرجل من صمتي وهو يكتشف بحدسه إنها خطوتي الأولى الحقيقية وإنها اختياري فغادر الغرفة٠

قربت مني وأمسكت بكفي ساحبة جسدي النحيل، قاومتها وأنا اضحك، زمت شفتيها، نامت كفي على رأسها تتداخل أصابعي مع نعومة الشعر، قربت وجهها حتى لامس فمي شفتيها، تبسمت وأخذت تبادلني التقبيل كمشهد في شريط سينمائي، أجلستها في حضني أنفاسها تلفحني، قامت وأمسكت كفي مشيت منقادا خلفها٠

لما دخلنا غرفة أخرى، تخالطت بين الخوف والتصرف ألخاطئ أغلقت الباب بالمفتاح، جلست على طرف الفراش تنتظر أمري، ساعدتها على نزع ثوبها، ثدييها الصغيرين انتصبت زاد تناثر شعرها، لما انحنت تخلع سروالها برز تكور مؤخرتها، طوقتها بذراعي تدافعت حتى تمددت فوق صدري أخذت أمص شفتيها شعرها يتناثر على وجهي وكفي تحتضن مؤخرتها٠

العرق يبلل جسدي ألاحق حركتها المتلوية كما حية تنساب بين الرمال وهي تلهث، توقفنا عن الحركة ساقها تنام على جسدي، شعرت إنها اقرب أكثر، تقاطع ضحكها وأنا العق رقبتها مع قرع خفيف على الباب، شدتني بعنف وقوة قبل أن تنهض، فتحت الباب وأختفت٠

ونحن في مطعم الفندق الذي نقيم فيه ويستضيف ندوات مؤسسة التدريب تحدث مرافقي عن تجربتنا، بعد انتهاء جلسة الصباح في اليوم الثالث اتفقنا على معاودة مغامرة اليوم الأول، وفكرنا في إشكالية لقاء الرجل٠

توقف قلقنا ونحن نجده يتحرك ضمن فريق العمل الذي ينسق برنامج زيارة منشأة صناعية، أنكر معرفتنا فلحق به أحدنا إلى سيارته وأقنعه برغبتنا في تجربة جديدة تتفق مع نهاية البرنامج وتكون احتفالية للعودة للمعتاد٠

اصريت بسذاجة وعناد على لقاء فتاة الموعد السابق ورفضت كل الحلول، فجلست وحيدا في صالة الاستقبال في الفندق امضي الوقت في متابعة الوجوه والإنصات لحديث خاطف بين بعض الجلوس ونداء لا يشكل أي معرفة٠

في العاشرة ليلا لمحتها تدخل من باب الفندق طفلتي الشهية، تلفتت حولها ولما شاهدتني سارت غير مبالية بالآخرين، نهضت مرتبكا والعرق ينضح من مسامي، وجاء الرجل تتبعاني بنظرهم وأنا ادخل المصعد٠

لم يمر وقت حتى كان الباب يقرع كان الاثنان لما دخلت اختفى الرجل في الممر، حملتها بين ذراعي اقبل وجهها وعنقها، لما حان موعد الجلسات الصباحية تركتها نائمة ٠

قال أحد مرافقي أنه نام في فراش امرأة تقيم في غرفة تجاور غرفته، وجدها لما عاد في الساعة الحادية عشر ليلا تعالج باب غرفتها فساعدها على فتح الباب، وعرف أن زوجها المريض حصل على أمر حكومي للعلاج فرافقته مستأذنه من عملها وتركت أطفالها عند والدتها، يراجع الطبيب منذ يومين وهو الآن يرقد بالمستشفى لإكمال الفحوص٠

لما عدت للغرفة بعد الظهر وجدتها تجلس أمام التلفزيون، أخذت أراقبها وهي تستحم لففتها بالمنشفة وطلبت غداء، في الخامسة غادر تني٠

وفي العاشرة ليلا انتهى البرنامج التدريبي بحفل عشاء، المرافق الثاني تغيب عن جلسة الثامنة ليلا تسلمت نيابة عنه وثيقته التي تمنحه التميز بين المشاركين ودرع من الشركة الراعية للبرنامج، ومعه تأخرت مغادرتنا للفندق حتى الرابعة صباحا ٠

انثال حديثنا في باحة قصر حفلات استأجرته بمناسبة عقد قران ابني، مجموعة من الأصدقاء والأقارب وقد تناثر الشيب فينا وسكنت الكهولة أجسامنا، عن لحظات دفنها الزمن العم حمدان مع إتقانه لعب البلوت من أرباب الخيال الجامح صاحب محل لبيع قطع غيار

السيارات، زفر متنهدا وقال: حتى يقلق الصمت المخيم علينا متابعين صراع أربعة تقادم بهم الزمن، تنطلق بينهم همهمت احتجاج وضحكة انتصار عند كل جولة من اللعب، الدنيا أمامك سدح مدح وابنه الفتى يطالبه بالمغادرة فالليل انتصف، ضحكنا كان متوقد الذهن نخرت العلل جسده حكاياته طرائف ونتحرج من تلميحاته القاسية التي نثور معها في البداية ثم تتسرب ألسكينه إلى أعماقنا بسبب صمته وتحديقه المركز على وجه المنفعل وبسمة صغيره ترف على محياه بود، كانت تشاركنا في وجودها لحظات فرح وأيام حزن أسود تجاوز صفات الألم الذي اعتدناه في مدينتنا التي في الصيف تصبح أرصفتها دواوين سمر ومجالس تأمل، وكلما ضمرت الحياة فيها تنبعث فجاءه معلنة عن استمرارها، كما أنها لا تكتمل إلا إذا انبثق فيها مجنون عريق يكون له دور طريف ومؤثر في حياتها وحديث الناس، وشيخ يدعي انه سيد العارفين وقد انشغل أهلها بعلك الذاكرة٠

جاء ابن ابنتي يستحثني على القيام حتى ألج إلى قسم النساء من قصر الأفراح، لأقف بجوار خالة العريس مع باقي أفراد الأسرة، رفيقا الذاكرة يلعبا البلوت منتظرين هذه اللحظة، نهض احدهم لاحقا بي فقد كانت العروس إبنته٠ &&

العنقاء

---

١ ــ

صالح ٠٠ اكبر الأبناء عـرف بصـمته وغموضـه، والقـيم عـلى منـا شـط والـده الزراعيـة والتجارية، كما انه كاتب رئيس المركز الذي اتخذ من القرية النائمة في حضن الصحراء وبـين جبال بركانية تطامنت قممها حتى تتفجر ينابيع المياه وتكثر المزارع وأحراش المراعـي مملكـة خاصة، تزوج صالح ابنة عمه شيخ القبيلة التي تنتسب لهـا أسرتـه معيـدا العلاقـة المنقطعـة داخل الأسرة إلى تلاحمها، بينما كانت زوجة والده الأخيرة تنمي حـس المواجهـة في أولادهـا الجيل الثالث في الأسرة لمقاومة سيطرة صالح على مقدرات العائلة٠

بينما الجيل الثاني انشغل بتكوين ذاته بعيدا عن سطوة ألأسره وقيم الجماعة وبقي صالح ممثـل الجيل الأول مكشوفا أمام مطالب زوجات والده وحاجات إخوانه وأمهاتهم وقد تم تـزويج شقيقته لقريب يقيم خارج القرية، كما إن زوجته لم تحمل رغم مرور عشر سنوات على اقترانه بها لم يترك خلالها عرافا أو طبيبا وامتلأ المنزل بالرقى، وعوضت العقم بان وجهته بمسـاعدة والدها إلى تولى مهام هامة خارج الأسرة وعند أهل القرية ٠

٢ ــ

حسناء ٠٠ بدوية تعلمت من الصحراء حركتها وأخذت مـن الرمـال اللـون الـذهبي ومـن والدتها وأهل خيام الشعر من البدو الرحل بحثا عن الماء والكلأ، كيف تزرع البهجـة فـيمن حولها ولما توقفت السماء عن إنزال المطر اقتربت الخيام من القرية وتوزع الرجـال للعمـل في المزارع والأسواق فالتحق والدها بالمزرعة الكبيرة التـي يملكهـا والـد صـالح يشرـف عـلى طلمبات المياه ويوصل منتج المزرعة من الحليب والخضار للمنزل٠

في حفل عشاء نهاية الشهر الذي معه يتم صرف رواتب العمال ومعرفة حاجات المزرعة التقى صالح حسناء؛ كانت تمرض والدتها، لفت نظره جمالها وطلب نقـل المريضـة إلى مستوصـف القرية وهناك اقترب أكثر منها بعد قيام الطبيب بتحويل المريضة إلى المستشـفى في الـدوادمي لمزيد من الفحوص٠

وفي غداء خاص بمناسبة شفاء المريضة خطب صالح حسناء مما اغضب زوجته التي هجرت الدار ولم يعترض والده عندما عرف بالأمر، إنما شجعه وقدم له مساعدة جزلة أثناء حفل الزواج عبارة عن سكن مستقل وتنازل له عن دخل محلات تجاريه في سوق القرية٠

لما حملت حسناء رحل صالح إلى مدينة الدوادمي حتى تكون بجوار المستشفى وترك القرية بما فيها للآخرين؛ ولحقت به زوجته الأولى بعد وفاة والدها وتقاتل إخوتها الذكور على التركة فكان أن قام صالح بطلب المساعدة من والده الذي دعمه ماليا حتى اشترى منزلا واسعا وعوضه عن المحلات التجارية في القرية بمبلغ مجز معه بدأ صالح تجارته الجديدة في مجال الأثاث المنزلي بناء على نصيحة والد حسناء ٠

٣ــ

أنا٠٠ سهج تخلقت في بطن أمي بهدوء وسكينة، لم يغب يوما صوت أبي عن سمعي حتى وأمي تفحص حملها في العيادة الخاصة بقسم النساء في مستشفى الدوادمي، وأنا في الثامنة من عمري توفيت والدتي٠

عثرت عليها زوجة أبي ميتة في الفراش؛ كنت في المدرسة ووالدي مسافر إلى الرياض لعقد صفقة تجارية جديدة، زوجة أبي جاءت وأخذتني من المدرسة، والدي قطع رحلته؛ وعاد ارتبك الطبيب في تحديد الوفاة، وتأخر دفنها٠ تدخل جدي وبعض أفراد الأسرة فتوقف البحث عن أسباب الوفاة وتم دفن أمي في اليوم العاشر على وفاتها في مقبرة القرية٠

تولت زوجة أبي شئوني فكانت تنام في فراشي إذا سافر والدي٠ اعتدت أنفاسها والتصاق جسدها بجسدي٠ تتدخل في اختيار ملابسي وتتابع استذكاري للدروس وتحث والدي على إحضار معلمين لمساعدتي في تعديل درجاتي لبعض الدروس٠ كانت تسميني "علي " بسبب شعر رأسي القصير وشغبي ألغلامي: تقبل والدي الأمر لرغبة في داخله لم تتحقق٠

تباعدت زيارتي للقرية وكان جدي وإخوة أبي عند زيارتهم لنا يقيم لهم والدي حفلات عشاء يدعو لها الجيران والأصدقاء، ولما ينصرف الضيوف يرتفع حوارهم فأعرف أن والدي لم يعد له مكان في الأسرة ٠

لما حصلت على الثانوية العامة ولرغبتي في مواصلة التعلم قدم والدي أوراقي للجامعة في الرياض وفي جده، فكان أن قبلتني جامعة جده في التخصص الذي ارغب بينما كان قبول جامعة الرياض في قسم أخر على ضوء درجاتي في بعض المواد٠

أقنعت والدي بجامعة جده وان للطلاب المغتربين سكنا أمنا٠ جاء الفصل الدراسي الأول مرتبكا، معه كثر تردد والدي إلى جده، ومعها أغراه احد تجار الأدوات ألمنزليه تعرف عليه بالشراكة٠ وفي حفل عشاء أقامه التاجر في منزله لوالدي للتعرف على بعض رجال الأعمال كان قرار والدي الانتقال إلى جده ٠

داخل الجامعة مارست حقوقي كاملة بين الزميلات وهيئه التدريس وفي قاعات وممرات الكلية؛ في السكن بقيت أيام وحيده حتى جاءت ميسون، سمراء ممتلئة تتعرى في الغرفة غير مبالية بوجودي؛ تفتح باب الحمام وأنا استحم بدعوى اخذ منشفتها أو معجون الأسنان٠

انتقل والدي إلى جدة، وفي اليوم الثالث سافرت زوجته للقرية حتى تقنع إخوتها بإعطائها بعض النقود من تركة والدها لمساعدة أبي، أحضرنا خادمة وسائقا يقوم بتوصيلي للجامعة٠ والدي شعر بالحرية أكثر فأخذ يفكر في مستقبلي، لم تنقطع زوجة والدي عن نومها في فراشي عندما يسافر والدي ولم تهمل مناداتي باسم " علي " عندما تراني البس بيجامة رجالية مخططه داخل المنزل وعند الخروج للسوق تكون أهم مشترياتي بنطلونات جينز وشورتات ألبسها عندما نقرر قضاء بعض الوقت في شاليه على البحر قام والدي وبعض أصدقائه باستئجاره للتنزه ٠

لما تخرجت من الجامعة جاء العمل معلمة في مدرسة قرية في جنوب جده تبعد مئة كيلو متر؛ رفض والدي هذا الخيار، وأمام إصراري على العمل تمكن من تبديلها بمدرسة تبعد خمسة وأربعين كيلو في الشمال٠

في المدرسة وفي الطريق الصباحي والمسائي اكتشفت أن " علي " ترسب في أعماقي وأنا أجد إحداهن تحتضن كفي في خلسة من مرافقاتنا في السيارة، ولما قمت بزيارتها بسبب غيابها أخذتني إلى غرفتها وهناك ضمتني طربه وهي تقبل عنقي ولما وقفنا حذاء المرآة أخذت تحدق في ثم زرعت قبلة طويلة على شفتي قطعها طرق الخادمة للباب تدعونا للشاي٠

قال أبي ونحن في السيارة عائدين من المستشفى الذي ترقد فيه زوجته، إن شريكه عامر يرغب الزواج مني؛ كانت المكاشفة متوقعه من أبي ولكن الوقت غير مناسب، فشريك أبي يغرقني بالهدايا كما انه يطري جمالي إذا قابلته في منا سباتنا الخاصة فوالدي يعتبره احد أفراد الأسرة٠

وتذكرت إنني عندما كنت في الثانوية أن زميلة تقرب والدي، قالت في الفصل أني لقيطة بعد شجار على أمر يخص الأسرة، لم أناقش أبي حينها وبكيت في غرفتي وأنا استعيد نظرات طالبات الفصل تأخرت في تبديل ملابسي وبين دموعي جاءت زوجة والدي؛ ضمتني إلى صدرها ومررت كفها على راسي فأخذت اشكوا لها اتهام قريبتي؛ قبلت جبيني وأغلقت فمي بكفها ٠

نسيت الأمر وها أنا أتذكر ذلك وأبي يسألني رأي في طلب شريكه، وعلاقتنا المتوترة بأفراد الأسرة؛ فأبي ترك كل شيء ليتفرغ لي ويتبع نجاحي وهاهو يسعى لتثبيت الأمان في ما تبقى من طريق ٠

جاء زواجي من شريك أبي فخما وفي فندق فاخر في لندن جاءت ليلتنا الأولى مرهقة؛ وفي الليلة الثانية فجر خبئ مكنوناتي الأنثوية بعد أن دفعني لمشاركته الشراب حتى نشعر بلحظة الأنس أكثر كما قال ونمتع تألق التواصل بفقدان العقل٠ وخلال تنقلنا لإزجاء الوقت والتنزه اعتدت شرب كاس من مسكر فاخر ينتقيه زوجي بعناية٠

عرفت إن زوجة زوجي التي ترقد في المستشفى منذ عام توفيت ونحن في طريق عودتنا من رحلة شهر العسل؛ ولما وصلنا، كان ابناه الفتيان في منزل خالهم بعد هجرهم لمنزل والدهم،

ومع الوقت اكتشف والدي إن ثروة شريكه مصدرها أموال زوجته المتوفاة وان هنـاك قضـية في المحكمة تطالب زوجي برد الأشياء التي استولى عليها٠

ـ ٤

السامري ٠٠ بعالمه الخاص وسياقاته المعرفية؛ همس في إذني بأسـمى السرـي " طيـف " بيـنما كنت أتنقل كفراشة في احد المتاجر، لاختار المناسب من القماش لتفصيله لحفـل نهايـة العـام الدراسي بالمدرسة التي اعمل بها٠ جاء صوته يطري نـوع القـماش؛ حـدقت فيـه وأسـدلت الخمار على وجهي٠ تبسم كانت بسمته تيارا كهر بائيا سرت لذعته في جسدي؛ واتجه معي إلى قسم العطور اختار لي مجموعه من الروائح ثم ترك بطاقة تحمل اسمه ورقم هاتفه واختفى٠

انشغلت بمرض والدي؛ ترقد البطاقة في حقيبة يدي وأنا أقـف وحيـدة أمـام غرفـة العنايـة ألفائقة التي يرقد فيها والدي؛ زوجي مسافر وزوجة أبي أصـابها مـرض والـدي فمرضـت، وتم ترقيدها في أحدى غرف المستشفى٠ في المنزل وأمام قلق الخادمتين على والدي برز الرقم أكثر؛ جاء صوته مطمئنا؛ عاتبني على تأخري في الاتصال؛ شكوت له مرض والدي فسـكن قلقي٠

زوجي أصبح وحيدا بسبب مرض والدي فهجر المتجر وحبس نفسه في غرفة بفنـاء المنـزل؛ يدخن كثيرا ويتجرع مشروبه المسكر الذي لا أدري من أين يوفره؛ يراجع أوراقه وحساباته؛ كنت اجلس معه اقلب الأوراق وألطف ألمي بمشاركته الشراب كما هي عادتي منذ أول ليلـة في زواجنا، ثم ادخل غرفتي للحديث بالهاتف مع سامر حتى موعد نومي٠

بعد ثلاث سنوات مع القضاء والشرطة ووالدي في المستشفى تدخل أهل الخير بـين زوجـي وأقارب زوجته ألسابق، وجرى حل المشكلة المالية؛ نصحنا الأطباء بنقل والدي للمنزل مـع تجهيز غرفة طبية، وأعارنا المستشفى ممرضه للمتابعة؛ حضر بعض أخوة أبي للمعاينة وارتفع صوتهم فطردتهم زوجة أبي٠ وفي تلك الليلة نمـت في فراشـها وشـعرت أن روحهـا الطيبـة تطوقني٠

في مساء يوم وبعد مكاشفة ليلية كنت اجلس مع سامر في مقعد على البحر الممتد أمامنا نلاحق موجه المتكسر على صخور الشاطئ ونلعق الإيسكريم؛ حديثه الحالم ينزعني من همومي؛ تقاسيم وجهه تزرع الأمان وهو يضم كفي بيده اليمنى، هجرني النوم فخرجت إلى الفناء؛ لم أجد زوجي في الغرفة جلست اقلب الأوراق المتناثرة على الأرض كشف حسابات البنك يفضح التلاعب في المستندات؛ شعرت بالتعب وعرفت انه رحل؛ تركت كل شيء وعدت لغرفتي ٠

في منزل والدي المغلق بعد وفاته ورحيل زوجته إلى أهلها حتى يبت القضاء شكوى إخوة أبي لحصر نصيبه في الشركة ليتم توزيع الإرث؛ كان لقاء الحقيقة٠ مع غياب الشمس أوصلني السائق إلى السوق وجلست على مقعد انتظار في ساحة المحلات ألتجارية أتأمل تفاصيل المرتادين وأجمع تبعثري، ولما لمحته نهضت تخللت أصابعه أصابعي فتح باب السيارة ولما جلست اتجه للباب الأخر؛ طلبت منه الذهاب إلى منزل والدي٠

وقف في وسط غرفة الجلوس يتفحص المقاعد والستائر المسدلة، دخلت غرفتي القديمة تكومت العباءة على الأرض؛ وقفت أمام المرآة تعريت؛ نثرت شعري وأزلت الماكياج وحمرة شفتي بمنديل ورقي بللته بلعابي؛ أخرجت من خزانة الملابس قميص أحمر موشى بزهرات عباد الشمس الصفراء قصير غطى ردفي كنت أتجدد وأنا استعيد ذاتي من خلال ذاكرتي ٠

خرجت من ألغرفه امرأة أخرى فتح فمه مندهشا؛ وقفت قبالته، نهض من مقعده؛ نزع غترته فتمددت على المقعد مع عقاله، طوقني بذراعيه قرب شفتيه من فمي؛ أندغم في داخلي؛ اختلط عرقنا مع تفجر رغائبنا المكتنزة منذ بدء الخليقة٠

ـ ٥

أمي من النور (هكذا عرفت) اعتادت التجول في أرجاء الأرض متمسكة بالتقاليد وطراز المعيشة الحرة التي معها يأنف الغجري العمل؛ فهي الحسناء التي باعت إخوتها الأربعة للشيطان حتى تفوز بقلب حبيبها فكان موتها الغريب عندما انتقل بها والدي من فضاء

القرية الرحب إلى المدينة لتعيش بين جدران الأسمنت مقيده عندها فاضت روحها الراقدة لتعود إلى التحليق ٠

ومن هنا لم أجد أحد من أقاربها حولي، ولما شعرت أني سيدة نفسي- اتجول كما أشاء بعد انشغال زوجي بمشاكله مع أهل زوجته السابقة وأقارب والدي؛ حضر خال والدتي الخضر- الذي أصل فضاء الحرية في فكري ٠

كنت مع ثلة من الصديقات نتناول العشاء في مطعم فندق أوراق النرجس الأربع وخرير الماء ينساب مع صوت الموسيقى متجاوزا همس المرتادين، جاء يحمل دلة ألقهوة صب لي فنجانا وترك مرافقاتي؛ أخذت أتبعه بنظري وهو يتنقل بين الطاولات حتى اختفى ٠

شيء في داخلي؛ تخلق معه توهمي وهو يغادر المطعم كحصان رافعا ذيله متوفزا، تركت الطاولة ولحقت به كان يجلس في صالة ألاستقبال؛ نهض لما لمحني امسك بكفي وسحبني إلى مكان منزو؛ اخرج من ثنايا ثوبه الفضفاض مظروفا أبيض تركه على الطاولة؛ تحدث كثيرا عن أمي ٠

بناء على طلبة لم أفتح المظروف حتى ندخل دار والدي؛ في السيارة جلس بجواري بالمقعد الخلفي رائحته شذيه وثوبه الفضفاض حريري الملمس عقاله الأسود السميك يلمع كلما مررنا بقرب شعلة نور ووجهه المصبوغ بالحمرة متغضن بأخاديد الزمان، سبقني إلى الداخل ليشعل الضوء جلسنا متقابلين في غرفة الجلوس؛ روح أمي تحلق في فضاء الغرفة٠ أخرج ألمظروف من حقيبة يدي وفك الرباط؛ كان بداخله أوراق ثلاث؛ الأولى عقد زواج أمي، والثانية شهادة ميلادي، والثالثة وثيقة تملك لمنزل في حي فقير باسمي ٠

عرفت انه يقيم في المنزل وطلب مني مرافقته حتى اعرف موقعه؛ أما شهادة ميلادي ووثيقة زواج والدي التي تحمل توقيع جدي٠ مستندات تدين أقارب والدي في إخراجهم مشهدا لم يبروا فيه قسمهم في المحكمة يحصر ورثة أبي في أخوته، وانه مات ولم يخلف، وشهادة ميلادي تحدد موقعي في عشيرة أمي، واني أصبحت ملكة جماعتنا التي تناثر أفرادها بسبب زواج والدتي من غريب؛ وحتى أضلل الأرواح الشريرة التي تلاحقهم ٠&

اليماني

حتى الآن الأمور طيبة، قلت ذلك وأنا ألاحظ قلق الطبيب المشرف على حالتي الصحية، تعرضت لنوبة قلبيه، كنت راكعا أصلي العشاء متأخرا في المنزل بعد آن عدت من المقهى في العاشرة والنصف ليلا ٠

أسدلت جفني، أسترجع خليط من الصور، جار مهووس بأسرته يعيد على مسامعنا في كل لقاء يتم لجيران المسجد مقطع من تاريخهم المجيد، التفت الجار الذي التقي به كل يوم في المسجد، بعد حديثه في المجلس الأسبوعي

: أنت يماني ٠٠!

: نعم يماني من بريده ٠٠!

جدي من العقيلات رفض فتح أبواب السور بدون شروط ، وتولى الشيخ الحمد التدريس في الجامع الكبير ، كان يرصد أخبار الأسر ولما ولي القضاء كان جدي قد غادر المدينة مخلفا زوجاته الثلاث وأبنه البكر ، الزوجات الثلاث لجأن لأسرهن في الخبوب والابن البكر ترك زوجته ورحل ٠

تولى الشيخ الحمد أمر المزارع والبيوت التي هاجر أهلها ، وزوج أختي التي لم تتجاوز الثامنة ابن خالته الذيب فاستولى من خلالها على أرث جدي ٠

والدي الذي رحل للجنوب أقام حياة جديدة، الشيخ الحمد انكشف دوره في تصفية أملاك المعارضين فلم يعد المسجد الكبير مكان للدروس العلمية، فاستقال وأقام في مكة

عرف مكانة والدي فتكلف بقضاء جازان في أقصى الجنوب ، ما أن باشر العمل حتى توفى والدي تاركا زوجه وأبناء ، تولى الوصاية و زوج آمي على

أحد خدم والدي، شجعه على بيع الإرث بدعوى الصرف علينا حتى لم يبقى شيء ٠

فتحت عيني الممرضة تقوم بجس نبضي، صوت ابني في الممر يناقش حالتي الصحية، قالت الممرضة

: بابا٠٠ أنت كويس

سرت ابتسامة على وجهي ، همست حتى الآن الأمور طيبة ٠

فهرس مجموعة (المحطـــة الأخيرة) القصصية

ـــ السجن

ـــ القنبرة

ـــ اللقاء

ـــ العطر

ـــ ابوسعيد

ـ الغياب

ـ الفأر

ـ انبجاس

ـ مريم

ـ وهم

ـ الأستاذ

ـ الشتاء

ـ المسجد

ـ الرحلة

ـ مدى

ـ الشرى

ـ الذئبة

ـ العون

ـ الخادمة

ـ الصمت

ـ الأرض

ـ رغبة

ـ وردة

ـ الم

ـ غفوة

ـ الرابع

ـ الرهان

ـ إيلاف

ـ البياض

ـ الطائف

ـ انفجار

ـ اصطفاء

ـ فريج

ـ الغانية

ـ الشيشة

ـ الشريط

ـ محمد المزعل

ـ فقر

ـ صفاء

ـ جيرة

ـ أنفاس الرحيل

ـ أطلال

ـ التعب

ـ الردف

ـ شارع المنذر

ـ ارتعاش الرمل

ـ الغرفة الثالثة

ـ المحطة الأخيرة

ـ أوراق من دفتر سعدا

ـ الاختناق

ـ الرفقة

ـ انكسار

ـ الشخير

ـ انثيال بوح

ـ العنقاء

ـ اليماني

صدر للكاتب

قـصـص قـصـيرة:

١) البحث عن ابتسامة

الناشر ناد الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م

الناشر الدار السعودية ط٢/ ١٩٨٥م

٢) حكاية حب ساذجة

الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

الناشر الدار السعودية ـ جدة ط٢/ ١٩٨٥م

٣) مساء يوم في آذار

الناشر شركة تهامة ـ جدة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

٤) انتظار الرحلة الملغاة

الناشر نادي القصة السعودي ـ الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

٥) الزهور الصفراء

الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

٦) قالت أنها قادمة

الناشر الدار السعودية ـ جده ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٧) الغـــــريب

الناشر مجلة الثقافة ـ دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

٨) الانحدار

الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

٩) الرجل الذي مات وهو ينتظر

الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

١٠) الطيـــــب

الناشر مكتب الصحافة العربية ـ القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

١١) الحملة

الناشر نادي جازان الأدبي ـ جازان ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

١٢) الغياب

الناشر / أصوات معاصرة ــ السنة ٢٦ ــ العدد ١٤٥ ــ مايو ٢٠٠٥م

شرقية ــ جمهورية مصر العربية

شـــعـــــــر :

١) معانـــاة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

٢) بقايا وجـود ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

٣) مقاطع من أوراق عاشق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

مقالات :

كلمات حتى نصل (مقالات في الأدب والحياة)

الناشر / نادي أبها الأدبي ــ أبها ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م

لمراسلة الكاتب:

ص٠ب ٨٦٦٢٩ الرياض ١١٦٣٢

المملكة العربية السعودية

محمد المنصور الشقحاء

كلمة غلاف المحطة الأخيرة الخلفي

يقول جبران خليل جبران: وحين يفضي إليك صديقك بما يدور في نفسه، فلا تخشى أن تقول له " لا "ولا تضن عليه " بنعم "

هذه المجموعة يخاطب فيها " الشقحاء " القراء عن صراع الإنسان ليرى انعكاس صورته في المرآة من خلال القيم التي فقدت المعنى الأصيل، بحثا عن فهم جديد لما نحن فيه من تدهور .

يقول محمد المنصور الشقحاء: أين تكمن الحقيقة، وقد سرى العفن في جذوع الأشجار فيبس ورقها وتقصفت أغصانها وأنا أعيد النظر في الأيام السابقة، جاء كتابي فارغا لا شيء فيه٠

تنفست دخان الشيشة فتلوى كما حية ازدردت التراب، تكرر المشهد الذي انتشلني منه نادل المقهى بحديثه عن المطر المنهمر٠

محمد المنصور الشقحاء: قاص وشاعر من المملكة العربية السعودية ٠ ساهم في تأسيس نادي الطائف الأدبي واستقال من عضوية مجلس الإدارة عندما لم يعد لديه ما يقول٠